روائع الشعر في العصر الأموي

تحليل ودراسة

دكتور
محمد أبو المجد على
أستاذ م الأدب العربى
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
فرع الفيوم

الناشر
دار العلم للطبع والنشر والتوزيع

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ﴾

الكهف ٤٥

روائع الشعر فى العصر الأموى

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع : ٤٦١٩ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : 2 - 27 - 5937 - 977

الجمع التصويرى والإخراج الفنى
دار المروة حى الجامعة ـ الفيوم



الإهداء

إلى ولدى عبد الله

نور عيني . . ومهجتي .

وإلى شروق . . ابنتي وحبيبتي

منية النفس والفؤاد .

وإلى رفيقة رحلتي

زهرة الحب والوداد .

أهدي هذه الدرر الرائعة :

من فلذات أكباد الأجداد .

و . . باقة حب

لايزال أريجها - مع الزمان - في ازدياد .

قارورة عطر . .

ما لها - بمشيئة الله - من نفاد

أبدَ الآباد . .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمدك اللهم حمد الشاكرين ، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمةً للعالمين ؛ سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه مجموعة منتقاة ، من أجمل ما خلفه الشعراء ، فى العصر الأموى . اخترتها على مهل ، من بين نصوص عديدة ، يزخر بها عصر كان - و لايزال- من أزهى عصور الأدب العربى ، على قصره - بالقياس إلى غيره - وقلة أعوامه . وحللتها فى أناة ، متبعاً أسلوباً واحداً فى سائر الأجزاء ؛ يبدأ بإضاءة لغوية لما يحتاج - وهو كثير ؛ بحكم تباعد الأزمنة ، والتواء الألسنة - إلى تفسير من الكلمات ، ثم يؤدى المضمون - بعد تمثله - دون زيادة - و هو ما حاولته جاهداً - أو نقصان ، ثم يبرز أبعاد التجربة ، وطرق الصياغة ، وخصائص الفن ، وما ينطوى عليه التعبير من جمال . والتناص - إن وُجِدَ - والقضايا التى قد تثار - من داخل النص - والمشكلات . مع تقويم؛ يلاحظ - فى بعض الأحيان - أوجه النقص والقصور - ما وُجِدا - ومجال الروعة ، ومدى التميز والأصالة فى الأداء .

ويمثل هذا كله جانباً - وهو الأهم بطبيعة الحال - تسبقه وقفة مطولة - هى فى الحق دراسة وافية - مع الشاعر نفسه ؛ صاحب النص المختار ، نستجلى فى ضوئها ملامح شخصيته وفنه - مفيدين فى هذا الإطار بما دار حوله من أخبار ؛ ما صح منها خاصةً ، والتراجم الأصيلة له ، والدراسات الجادة الحديثة - ومصادر ترجمته وشعره .

ويعقبه مختارات أخرى - يغلب عليها عادةً القصر ؛ لتغطى قدر الإمكان مختلف الاتجاهات - من شعره ، دون إطالة فى هذا الجانب بالذات ، ودون ضبط أو تخريج - كما كنت أصنع فى النص الرئيس- لأشرك القارئ - إن أراد- فى التوثيق ؛ بالرجوع إلى الديوان - وهو هدف من أهداف هذا الكتاب - ومحاولة القراءة الحرة، دون حجر - وهو ما قد يحدثه شيئاً ما ، مع تعدد القراءات ، الشكلُ وعلامات الترقيم - أو تضييق ، فى نصوص لا أهدف من ورائها - كما كنت أهدف فى الجانب السابق - التحليل ، وإنما التعريف - مزيداً من التعريف - بالشاعر ، وشعره ، واتجاهاته فيه إن تعددت لديه الاتجاهات .

صنعتُ هذا ؛ متبعاً منهجاً تكاملياً - يغلب عليه المنهجان ؛ التاريخى ، والتحليلى الفنى - مع الفرزدق ، وجرير ، ثم مالك بن الريب ؛ محاور هذا الجزء ، آملاً أن يعقبه - بمشيئة الله - فى وقت قريب أجزاء أخرى ؛ تحقق الحلم القديم ، الذى كان يراودنى وأنا أمسك بالقلم وأخط أول سطور هذا الكتاب ، منذ وقت طويل ، فى إنجاز مشروع كبير ، يتناسب والعنوان الضخم العريض ، الذى وضعته وقتها - عن قصد - له ، ثم حالت شواغل أخرى كثيرة بينى وبينه ، حتى أُتيحَ لهذا الجزء أن يرى النور - بعد ستة أعوام كاملة من كتابته- فتجدد الأمل والعزم . والله المستعان .

الفيوم

فى غرة القرن الحادى والعشرين

محمد أبو المجد على

الفـــرزدق

أ - ملامح من حياته وفنه :

الفرزدق أحـد الأضلاع الثلاثة التى يتكـون منها مثلث الشـعر فى العصـر الأموى ؛ هو وجرير والأخطل ، ووضع معـهم ابن سلام الراعى النمـيرى فى الطبـقة الأولى من طبـقات فـحول الشـعراء فى الإسلام [1]. استأثر بكثـير من اهتمام القـدامى والمحدثين على السواء لمنزلته فى الشعر ومكانته بين الشعراء ؛ تلك المكانة التى قرنها بعضهم بمكانة زهير فى عـصره [2] ، وهو أحـد شـعراء الطبـقـة الأولى فى الجاهلية . وكما لم يتفقـوا على تقديم واحد من شعراء الطبقة الأولى فى الجاهلية على غيره من شعراء طبقته - وبالتالى على سائر الشعراء- كذلك اختلفوا كثيراً حول شـعراء الطبقة الأولى فى الإسلام ، واشتد الجدال بـين القدامى حـول الثلاثة على وجـه الخصـوص ؛ فلم يكن الراعى بمنزلتهم على أية حال [3] .

وفى الحق أن الفـرزدق كـان يتـقـدم على صـاحـبـيـه فى بعض

(١) طبقات فحول الشعراء - ت . محمود محمد شاكر (دار المدنى بجدة سنة ١٩٧٤م) ص ٢٩٨ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة - ت . أحمد محمد شاكر - ط٣ (دار التراث العربى - القاهرة سنة ١٩٧٧م) ص ٤٨٣ .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام - ص ٢٩٩ .

الأغراض؛ كالفخر الذى ينسجم وطبيعة تكوينه ومزاجه الخاص ، ورفعة حسبه ونسبه ، واعتداده بذاته ؛ ذلك الاعتداد الذى يصل فى بعض الأحيان - كما يتبدى من أخباره ومواقفه - حد الصلف والكبرياء . بينما يتقدم عليه صاحباه فى أغراض أخرى ، تتفق كذلك وطبيعة تكوين كل منهما ، وما أتيح لهما من عوامل - لم تتح بالدرجة نفسها لشاعرنا - ساعدتهما على التفوق فى تلك الأغراض ؛ فنجد جريراً على سبيل المثال يبزه فى الغزل والرثاء وربما كذلك فى الهجاء ، ونجد الأخطل يتفوق عليه وربما على جرير أيضاً فى المدح[1] .

هو هَمَّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال . من دارم ؛ فرع كبير من فروع تميم ، « وكانت تميم تنزل فى الجاهلية بشرقى الجزيرة وتمتد عشائرها وبطونها من اليمامة إلى شواطئ الفرات ، وتتغلغل فى نجد ، مما جعلها تصطدم بالقبائل اليمنية والمضرية والربعية فى أيام كثيرة، كما اصطدمت بالحيرة وملوكها المناذرة . وتعد أكبر القبائل المضرية ، وهى فى حقيقتها مجموعة من القبائل تنتسب إلى أب واحد . . . وكانت وثنية إلا نفراً قليلاً تنصروا ، وهم يسمون فى

(١) راجع فى هذا : التطور والتجديد - د . شوقى ضيف - ط٨ (دار المعارف - القاهرة - سنة ١٩٨٧م) ص٢٠٦ : ٢١٨ ، والعصر الإسلامى - د . شوقى ضيف - ط٤ (دار المعارف - القاهرة بدون تاريخ) ص ٢٨٦ : ٢٨٩ . وانظر آراء القدماء فى : طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٣٧٤ : ٣٨٠ .

الحيرة بالعباديين . ومن أشهر شعـرائها الجاهليين أوس بن حجر وسلامة ابن جندل وعلقمـة الفحل وعدى بن زيد العـبادى ، ومن شعـرائها فى صـدر الإسلام عـبدة بن الطبـيب ومـتمم بن نويرة . وقـد دخلت فى الإسلام بعد فتح مكة ، وكانت من أسرع القبائل إلى الردة ؛ إذ ظهرت فيها متنبئـة تسمى سجاح ، وتبعها كثيرون ، فـجمع لها أبوبكر الجموع بقيادة خالد بن الوليـد ، وسرعان ما عادت تميم إلى الإسلام مستـضيئة بنوره ، وشاركت مشاركة ضخمة فى فتوح إيران وخراسان » [1].

وفى فرع من فـروع دارم ؛ هم بنو مجاشـع ، وفى بيت عريق من بيوت بنى مـجاشع ولد الفرزدق . وكان مـيلاده ـ فيما يرجـح الدكتور شوقى ضيف [2] – سنة ٢٠ هـ أو قبلهـا أو بعدها بقليل ؛ فـقد أتى به أبوه على بن أبى طالب رضى الله عـنه بعد مـوقعة الجـمل سنة ٣٦هـ ـ وكان الفزدق لايزال صبياً يخطو خطواته الأولى فى قرض الشعر – وقال له إن ابنى هذا شاعر ، ويبـدو أنه كان يستنصحه ، فنصـحه بأن يعلمه القرآن . وكان كذلك كـما يتحدث عن نفسه غلاماً يهـاجى شعراء قومه فى خلافة عثمان بن عفان ، وقد امتدت خلافته رضى الله عنه من سنة ٢٣ هـ إلى سنة ٣٥ هـ .

(١) العصر الإسلامى – د . شوقى ضيف ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .
(٢) العصر الإسلامى – د . شوقى ضيف ص ٢٦٧ .

جده صعصعة بن ناجية ، كان - كما يقول ابن قتيبة [1] - عظيم القدر فى الجاهلية ، واشتهر بـ (محيى المؤودات) . وهو أحد من أتوا النبى ﷺ فى وفد بنى تميم . وكان لديه جملة من القيون [2] .

وأبوه غالب سيد بنى تميم ، وكان كريماً جواداً كما تقتضى أخلاق الفتوة والسيادة ، بل ربما أكثر مما تقتضيان ؛ اختاره نفر بين طائفة من الأجواد يسألونهم ليعرفوا مدى جودهم ، فلما سألوه أعطاهم مائة ناقة دون أن يعرفهم[3] . وظهوره على سحيم بن وثيل حين نافسه فى إطعام ذوى الحاجة فى عهد عثمان رضى الله عنه مشهورة ، وفيها أنه عقر إبله كلها عن آخرها فى يوم واحد ، وكانت فيما يقال أربعمائة والمقلل لها يقول كانت مائتين[4] . وهو ابن ليلى ابنة حابس أخت الأقرع ، وكان كذلك من سادات تميم .

ولم يأت المجد الفرزدق من جهة آبائه فحسب ، وإنما أتاه أيضاً من جهة أمه ، وكانت هى الأخرى من بيت نبيل من بيوتات ضبة . فهو مُعِمٌّ مُخْوِلٌ على حد تعبيره ، وطالما افتخر فى شعره بهذين الأصلين .

---

(١) الشعر والشعراء ص ٤٧٨ .

(٢) انظر فى صعصعة هذا : الأغانى جـ ٢١ ص ٢٧٨ / الشعر والشعراء ص ٤٧٨ / تاريخ الأدب العربى لبروكلمان جـ ١ ص ٢٠٩ / العصر الإسلامى د . شوقى ضيف ص ٢٦٦ .

(٣) الأغانى جـ ٢١ ص ٢٨١ .

(٤) نقائض جرير والفرزدق م٢ جـ١ ص ٦٢٥ .

كنيته أبو فراس . والفرزدق لقب غلب عليه « لغلظه وقصره ؛ شبه بالفتيتة التى تشربها النساء وهى الفرزدقة» [١] . أو أن وجهه شبه بالخبزة[٢] ؛ فقد كان - فيما يقال - غليظ الوجه جهماً[٣] . وهاتان الصفتان لاتقفان عند مظهره الخارجى فحسب ، وإنما تعكسان - بصورة أو بأخرى - نفسيته المنطوية على غير قليل من الصلابة والقوة وشدة البأس .

وارجع إن شئت إلى سيرته لتتأكد من هذا الزعم ، وانظر كيف خاطب معاوية بن أبى سفيان - وهو الخليفة - حين ضم ميراث الحُتات إلى بيت المال ، وكيف نشزت منه زوجتاه فطلقهما ، وكيف لم تستقم الحياة بينه وبين النَّوَار - وكان قد خدعها وتزوجها بحيلة منه - فاستعدت عليه ، وكيف هجا ابن الزبير - وكان نفوذه قد امتد حينئذ إلى العراق - بسببها ، وكيف ارتطم بزياد ابن أبيه واضطر من جراء ذلك إلى الهروب من وجهه فساح منفياً فى البلاد ، وكيف أخرجه مروان من المدينة بعد أن ساء مسلكه فيها وجرته الغربة و - ربما - رقة

---

(١) الشعر والشعراء ص ٤٧٩ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٢٩٨ .

(٣) فى اللسان : الفرزدق : الرغيف ، وقيل : فتات الخبز ، وقيل : قطع الطحين . وفى المزهر (جـ٢ ص٤٣٠) : الفرزدقة - وهى واحدة الفرزدق - العجين الذى يسوى منه الرغيف . وأياً ما كان الأمر فإن اللقب يدل على غلظة ودمامة وجه .

الدين إلى ارتياد بيوت اللهو ومعاقرة الشراب ، وكيف انقلب فى أحايين كثيرة على ممدوحيه فأشبعهم سباً وهجاء بعد المدح والثناء ، ثم كيف اشتبك مع جرير والطرماح والأشهب بن رميلة وغيرهم .

لكن ينبغى ألا نبالغ فى هذا كله ؛ فهناك كذلك مواقف كثيرة فى سيرته تبرز الجانب الآخر من شخصيته ؛ فإذا هو يحمل بين جنباته نفساً تتوق إلى الدعابة حتى فى تسمية الأبناء ؛ فمن أبنائه -كما يذكر ابن قتيبة- لبطة وخبطة وسبطة وركضة [1] . وأسوق لك موقفاً واحداً أو موقفين لعلك - وإن شئت الاستزادة فارجع إلى ترجمته فى الشعر والشعراء - تذهب معى إلى أنه لم يكن دائماً -كما يتصوره بعض الباحثين - متجهماً أو متزمتاً صلباً . مر الفرزدق بمجلس بنى حرام وفيهم عنبسة مولى عثمان بن عفان ، فقال عنبسة : يا أبا فراس متى تذهب إلى الآخرة ؟ قال : وما حاجتك إلى ذلك يا أخى ؟ قال : أكتب معك إلى أبى . قال : أنا لا أذهب إلى حيث أبوك ؛ أبوك فى النار ، اكتب إليه مع دبالويه واصطفانوس [2] . وجاء عنبسة بن معدان إلى باب بلال ، فرأى الفرزدق وقد نعس ، فحركه برجله ، و قال : بلغتَ النار يا أبا فراس ؟ قال : نعم ، ورأيت أباك ينتظرك [3] .

---

(١) الشعر والشعراء ص ٤٨٠ . وانظر اختلافهم فى أسماء أبنائه هـ ٢ بالصفحة نفسها .
(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٢٣٦ .
(٣) الشعر والشعراء ص ٤٨٢ .

كذلك كان يحمل نفسه على الاستقامة ؛ فنراه يجالس الحسنَ البصرى،ويفتى بشعره فى مجلسه،ويصلى معه على النوار ، ويستمع إلى مواعظه، ويجيبه حين يسأله -وهما يشتركان فى دفن النوار - عما أعد لهذا المضجع - يعنى القبر - فيقول : « كلمة لا إله إلا الله مذ سبعون سنة»[1] . وينصح الحسين - إن صح الخبر - بالرجوع إلى المدينة ، ويطلعه على سريرة أهل العراق ،وكيف أضمروا الغدر به ،حين خرج رضى الله عنه إلى مصيره فى كربلاء. ويقول فى أخريات حياته شعراً - سقنا لك بعضه - يهجو فيه إبليس ويصر على أن يسمعه للحسن البصرى . وقيل إنه كان قد هجر الشعر حتى جروه إليه جراً للدفاع عن قبيلته حين اشتبك أحد شعرائها بجرير ولم يكن لهذا الشاعر بجرير طاقة.

فهو إنسان يطرب لما يطرب له غيره ، ويرغب - كما يرغب غيره - فى الاستقامة والصلاح . غير أن هذا الجانب كان يتوارى ، أو - إن

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٣٣٥ . وجاء فى الكامل للمبرد جـ١ ص ٧٠ « التقى الحسن والفرزدق فى جنازة ، فقال الفرزدق للحسن : أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشرُ الناس . فقال الحسن : كلا لستُ بخيرهم ولستَ بشرهم ، ولكن ماذا أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله مذ ستون سنة وخمس نجائب لايدركن . يعنى الصلوات الخمس . فيزعم بعض التميمية أنه رُئى فى النوم فقيل له : ما صنع بك ربك ؟ فقال : غفرلى. فقيل له : بأى شىء ؟ فقال بالكلمة التى نازعنى فيها الحسن . وانظر فى الصفحة نفسها وصية أبى هريرة له بعدم اليأس أو القنوط من رحمة الله .

شئت فقل - يختفي ، خلف هيمنة الجانب الآخر ، الذى لم ير كثير من الدارسين سواه .

وكان الفرزدق حاضر البديهة ، روى أنه لما هرب من زياد « أتى سعيد بن العاص - وهو على المدينة أيام معاوية - فاستجاره ، فأجاره ، وعنده الحطيئة وكعب بن جعيل التغلبي ، فأنشده الفرزدق مدحته إياه . . . فقال الحطيئة : هذا والله هو الشعر ، لا ما تعلل به منذ اليوم أيها الأمير . فقال له كعب بن جعيل : فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك . قال : بل والله أفضله على نفسى وعلى غيرى ، يا غلام أدركت من قبلك وسبقت من بعدك . ثم قال له الحطيئة : يا غلام لئن بقيت لتبرزن علينا ، أَنْجَدَتْ أمك ؟ قال : لا ، بل أبى . يريد الحطيئة : إن كانت أمك أنجدت فإنى أصبتها فأشبهتنى . فألفاه لقن الجواب » [1] .

ومر به ذات يوم خلف بن خليفة - وكان شاعراً ظريفاً راوية وكان أقطع له أصابع من جلود- « فقال له : يا أبا فراس من الذى يقول :

هو القَيْنُ وابْنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مثْلُه
لِفَطْحِ المَساحِي أَوْلِجَدْلِ الأداهِمِ ؟

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٣٢٢ .

فقال الفرزدق : يقوله الذى يقول :

هـــو الـــلِّصُّ وابْنُ الـــلِّصِّ لا لِصَّ مِثْلُهُ

لِنَقْبِ جِدَارٍ أَوْ لِطَرِّ الـــــــــدَّرَاهِمِ ».[1]

وواضح أن ابن خليـفـة كان يعـرض به ؛ لأنه المعنى بـقول جـرير صاحب البيت ، فرماه الفرزدق على البديهة بما يصمه ويصم أباه .

وكان الفـرزدق كما يقال : « أكـثرهم بيتاً مـقلداً . والمقلد : البيت المستغنى بنفسه ، المشهور الذى يضرب به المثل»[2] . ومن ذلك قوله :

تَرَى الــــــــــنَّاسَ مَاسِرْنَا يَسِيْرُونَ خَلْفَنَا

وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى الــــــــــنَّاسِ وَقَّفُوا.

وقوله :

أَحْلاَمُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً

وَتَخَالُنَا جِنّاً إِذَا مَا نَجْهَلُ.

---

(١) الشعر والشعراء ص ٤٨١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٣٦٠ ، ٣٦١ .

وقوله :

وَكُنْتَ كَذِئْبِ السّوءِ لَمَّا رَأَى دَماً
بِصَاحِبِهِ يَوْماً أَحَالَ عَلَى الدَّمِ .

عُمِّرَ حتى سنة ١١٤ هـ . ورثاه جرير - صديقه اللدود - بأبيات منها :

فُجِعْنَا بِحَمَّالِ الدِّيَاتِ ابْنِ غَالِبٍ
وَحَامِي تَمِيمٍ عِرْضِهَا وَالبَرَاجِمِ
بَكَيْنَاكَ حِدْثَانَ الفِرَاقِ وَإِنَّمَا
بَكَيْنَاكَ إِذْ نَابَتْ أُمُورُ العَظَائِمِ
فَلاَ حَمَلَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهِيرَةٌ
وَلاَ شُدَّ أَنْسَاعُ المَطِيِّ الرَّوَاسِمِ[1] .

وقيل إنه لم يعش بعده إلا قليلاً .

* * * * *

(١) ديوان جرير (ط . بيروت) ص ٤٠٥ . و«البراجم» عن الشعر والشعراء ص ٤٨٩ . وهى فى الديوان «المراجم» .

ب – مصادر ترجمته وشعره :

ترجمته : إرشاد الأريب لياقوت جـ٧ ص ٢٥٧ / أسماء المغتالين لابن حبيب ص ١٨٢ / الأعلام للزركلى جـ٩ ص ٩٦ / الأغانى جـ ٢١ ص ٢٧٨ / تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان جـ١ ص ٢٠٩ / تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ص ٢٥٥ / تاريخ التراث العربى لسزكين م٢ جـ ٣ ص ٧٢ / خزانة الأدب جـ ١ ص ١٠٥ / شذرات الذهب لابن العماد جـ ١ ص ١٤٤ / الشعر والشعراء ص ٤٧٨ / طبقات فحول الشعراء ص ٢٩٨ / العصر الإسلامى لشوقى ضيف ص ٢٦٥ / العقد الفريد جـ ١ ص ١٤٦ / فحولة الشعراء للأصمعى ص ٢٣ / مرآة الجنان لليافعى جـ ١ ص ٢٣٨ / معرفة أخبار الرجال للكشى ص ٨٦ / المؤتلف والمختلف للآمدى ص ١٦٦ / الموشح للمرزبانى ص ٩٩ / النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى جـ١ ص ٢٦٨ .

شعره : للفرزدق ديوان كبير نشر عدة مرات :

- فى باريس سنة ١٨٧٠ م برواية ابن حبيب عن ابن الأعرابى . نشره بوشيه ناقصاً مع ترجمة له باللغة الفرنسية .
- وفى ميونيخ سنة ١٩٠٠ م وليبزج سنة ١٩٠١ م . القسم الثانى منه ؛ نشره يوسف هل فى مجلدين .

- وفى مصر ضــمن مجموع يضم خــمسة دواوين سنة ١٢٩٣ هـ ؛ هو والنابغة الذبيــانى وعروة بن الورد وحاتم الطائى وعلقــمة ، برواية الأصمعى .

- ثم نشره عبد الله الصاوى بالقاهرة أيضاً سنة ١٩٣٦م فى جزأين .

- وبشير يموت فى بيروت سنة ١٩٣٧م طبعة ثانية .

- وكرم البستانى فى بيروت سنة ١٩٦٠ م فى مجلدين .

- وشاكر الفحــام فى دمشق سنة ١٩٦٥م . وهو أفضل طـبعات الديوان تحقيقاً حتى الآن .

- وعلى فاعور (شرحه وضبطه وقدم له) فى بيروت سنة ١٩٨٧م .

أما نقائضــه مع جرير فقد حقــقها بيفان ، ونــشرها فى «ليدن» سنة ١٩١٢م . كما حققها عبد الله الصاوى ونشرها بالقاهرة - فى مجلدين - سنة ١٩٣٥م .

* * * * *

جـ - النص :

يقول الفرزدق [1] :

١ - إنَّ الَّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا

بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ

٢ - بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا المَلِيكُ ومَا بَنَى

حكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لاَ يُنْقَلُ

٣ - بَيْتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِه

ومُجَاشِعٌ وأَبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ

٤ - يَلِجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ وإِذَا احْتَبَوْا

بَرَزُوا كَأَنَّهُمُ الجِبَالُ المُثَّلُ

٥ - لا يَحْتَبِى بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ

أَبَداً إِذَا عُدَّ الفَعَالُ الأَفْضَلُ

٦ - ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا

وقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الكِتَابُ المُنْزَلُ

٧ - إِنَّ الزِّحَامَ لِغَيْرِكُمْ فَتَحَيَّنُوا

وِرْدَ العَشِىِّ إِلَيْهِ يَخْلُو المَنْهَلُ

(١) ديوانه (ط . فاعور) ص ٤٨٩ . الأبيات ١ : ٥ ، ٧ ، ٢٥ : ٢٨ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ .

٨ - حُلَلُ المُلُوكِ لِبَـــــــاسُنَـا فِى أَهْلِنا

وَالسَّابِغَـــــــاتِ إِلَى الـوَغَى نَتَسَرْبَلُ

٩ - أَحْلامُنَــا تَزِنُ الجِبَـــــــالَ رَزَانَةً

وَتَخَـــــــالُنَـا جِنّاً إِذا مَا نَجْهَلُ

١٠ - فَـــــــادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا

ثَهْلانَ ذا الـهَضَبَـــــــاتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ؟

١١ - يَا ابْنَ المَرَاغَةِ أَيْنَ خَـــــــالُكَ إِنَّنِى

خَـــــــالِى حُبَيْشٌ ذُو الـفَعَالِ الأَفْضَلُ

١٢ - خَـــــــالِى الَّذِى غَصَبَ المُلُوكَ نُفُوسَهُمْ

وَإِلَيْهِ كَـــــــانَ حِبَـــــــاءُ جَفْنَةَ يُنْقَلُ

١٣ - إِنَّ الَّتِى فُقِئَتْ بِهَـــــا أَبْصَـــــارُكُمْ

وَهِىَ الَّتِى دَمَغَتْ أَبَـــــاكَ الـــــفَيْصَلُ

١٤ - وَهَبَ الـقَصَـــــائِدَ لِى النَّوَابِغُ إِذْ مَضَوْا

وَأَبُو يَزِيـــــدَ وَذُو الـــــقُرُوحِ وَجَرْوَلُ

١٥ - وَلَقَدْ وَرِثْتُ لآلِ أَوْسٍ مَنْطِقـــــاً

كَالسُّمِّ خَـــــالَطَ جَـــــانِبَيْهِ الحَنْظَلُ.

د - تحليل :

الأبيات ١ - ٤ :

١ - إِنَّ الَّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

٢ - بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا الَمْلِيكُ وَمَا بَنَى
حكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لاَ يُنْقَلُ

٣ - بَيْتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِه
وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ

٤ - يَلِجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ وَإِذَا احْتَبَوْا
بَرَزُوا كَأَنَّهُمُ الجِبَالُ المُثَّلُ

* (**سمك** : رفع / **دعائمه** : مفردها دعامة ؛ وهى ما يقوم عليه البيت كالعمود ونحوه / **أعز** : أقوى / **أطول** : أعلى / **المليك** : الله سبحانه وتعالى . وكذا **حكم السماء** فالمقصود به المولى عز وجل / **لاينقل** : لايزول ولا يتحول / **زرارة ومجاشع ونهشل** : أجداده لأبيه دارم بن تميم / **محتب** : يجلس جلسة خاصة تدل على الشرف والعظمة والكبرياء / **فناء البيت** : ساحته أو الجزء المتسع أمامه / **يلجون**:

يدخلون / احتبوا : اشتملوا بالشملة ؛ وهى كساء مخمل كالقطيفة ونحوها ؛ أى التفوا بها فى جلستهم تلك / برزوا : ظهروا / المثل : الراسية الثابتة) .

** قبل أن نبدأ فى تحليل هذه الأبيات لابد أن نضع فى أذهاننا أن الفرزدق إنما يتوجه بها إلى خصمه جرير ، أو فى الأقل يضعه نصب عينيه من البداية إلى النهاية ؛ فهو حين يفخر إنما يفخر عليه ، وحين يهجو فإنه المقصود بهذا الهجاء . أى أنه لايقول الشعر ههنا - كما نقوله نحن على سبيل المثال - للشعر فى ذاته ، وإنما يوظفه لينال به من خصمه .

وبماذا يفخر ؟ يفخر أول ما يفخر بذلك البيت العريق الذى ينتمى إليه ؛ بيت مجاشع ، وهو كما ذكرنا من البيوتات الكبيرة فى تميم . فهذا البيت كما يقول عزيز رفيع ، بل هو فى تصوره أعز وأرفع من سائر البيوت . ولئن كانت البيوت تتقلب مع تقلب الدهر فتصير إلى ضعة وهوان بعد العزة والرفعة فإن بيته لايتحول ولايتغير ولايتبدل ولا يزول ، إنه ثابت مع الأيام فى الذروة ؛ فالذى بناه هو الله عز وجل

الذى سمك السماء بقدرته والـذى له الحكم وبيده الأمر ، كذا قضى ، فهل لقضائه من مرد ؟

وإن مددتَ بناظريك داخل البـيت وجدت مجلساً كمـجالس الملوك هيبة وعظمـة ؛ أشخاص كالجبـال يشتملون بالثيـاب - وأى الثياب ؟ - تعلوهم السكينة ويغشاهم الوقار .

*** وهو في سبـيل الإقناع بتلك الفكرة يلجـأ منذ الوهلة الأولى إلى التأكـيد ، فيـفجؤنا بـ «إنَّ» وبالجملـة الاسمية ، وكـان بمقدوره أن يقـول : «بنى الذى سمك السـماء لنا بيـتاً» . لكنه آثر أن تكون الجـملة اسمية ؛ مراعاة لهذا التأكيد ، وتنبيهاً على الفاعل **«الذى»** ومن ثم على الفعل وهو البناء . وفى تقـديم الجار والمجرور **«لنا»** على المفعول **«بيتاً»** - وعلى الفاعل **«المليك»** فى البيت الثانـى - ما يفيد كذلك التـأكيد ، إضافة إلى الاهتمام والتخصيص .

وفى قوله **«بنى»** ما يدل عـلى الثبات . وتنـكير **«بيتاً»** للتعظيم . و**«أعز وأطول»** أعلى درجات التـفضيل ؛ لأنه لم يذكر المفـضل عليه . وتكرار **«بيتاً»** فى البيت الثانى -وكذا الثالث - يشى بحبه له واهتمامه به

ورغبته فى الاستقصاء والتفصيل . واختياره لهاتين الصفتين من صفات الله عز وجل «**المليك**» و«**حكم السماء**» اختيار دقيق ؛ لأنهما يتناسبان وما هو بصدده من ذكر عظمة هذا البيت ؛ فالذى أعطاهم إياه والذى أنزلهم تلك المنزلة العالية هو صاحب الملك الذى يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء دون أن يُسأل عما يفعل ؛ فهو سبحانه وتعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ، وهو الحكيم القادر الذى بيده مقاليد السموات والأرض ، فلا مانع لما شاء ، ولا راد لما قضى .

وتعداد أسماء الأجداد فى البيت الرابع فيه ما يشعر بالتعظيم والإجلال ،والرغبة فى التعالى على خصمه ؛ أن يأتيه بمثل هؤلاء حين يُذَكِّرُهُ بهم وينص عليهم بأسمائهم . ولايكتفى بالاسم ، وإنما يأتى بكنية - كأبى الفوارس - تنسجم وهذا الإجلال . وتعطى الصيغة الفعلية فى البيت الرابع «**يلجون**» حركة ، وهى حركة ماثلة أمام أعيننا، مستمرة بصيغتها الحالية ؛ فكأننا لانزال نراهم حتى الآن وهم يدخلون ذلك البيت ويخرجون . وفى «**برزوا**» شموخ وعظمة يستحضران فى مخيلة الشاعر وفى مخيلتنا صورة الجبال بثباتها وضخامتها ووقارها وهيبتها وعظمتها .

* * * * *

الأبيات ٥ - ٧ :

٥ - لا يَحْتَبِى بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ
أَبَداً إِذَا عُدَّ الـــــــفَعَالُ الأَفْضَلُ

٦ - ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الـعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهـــــا
وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الـكِتـــــابُ الْمُنْزَلُ

٧ - إِنَّ الـــــــزِّحَامَ لِغَيْرِكُمْ فَتَحَيَّنُوا
وِرْدَ الـــــــعَشِيِّ إِلَيْهِ يَخْلُو الْمَنْهَلُ

* «(**الفعال** : الفعل الحسن / **قضى** : قدر وحكم / **تحينوا** : ترقبوا / **ورد العشى** : ورود الماء فى وقت العشى أى المساء / **يخلو** : يصير خاوياً / **المنهل** : المكان الذى ينهلون منه الماء) .

** ومن الفخر إلى الهجاء ، ومن بيت عظيم - فى تصور الشاعر- هو بيته الذى يفخر به ،إلى بيت حقير فى تصوره أيضاً ؛هو بيت مهجوه جرير ، ينتقل الفرزدق انتقالاً طبيعياً ؛ فبضدها تتميز الأشياء كما يقال ، وليحقق ما سعى إليه منذ البداية ؛ وهو اعتلاء الخصم والانتصار عليه ، ولا يأبه لما فى هذا الاحتقار والتهوين من ارتطام

بمبادئ الدين ، فبيت جرير لايحتبى بساحته مثل هؤلاء الأجداد الذين ذكر ، لا الآن ولا فيما تقدم ولا فيما سيجىء أبداً؛لأنه يشبه بيت العنكبوت ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾[1] ، ولأن الله عز وجل قد قضى عليهم بذلك .

وإمعاناً فى السخرية والتعيير ، وإبرازاً لضعف هذا الخصم وهوان شأن عشيرته ، يتوجه الفرزدق فى البيت السابع بالنصيحة ؛ وهى نصيحة تفيض مرارة وسخرية فى مجتمع يقدس القوة ويهزأ بالضعفاء ؛ يقول له ولقومه إن شئتم أن تَرِدُوا الماء فلا تعجلوا وانتظروا ريثما يأتى المساء وينفض الزحام ويخلو المنهل .

وهو يريد - وقد صرح بشىء من هذا فى بداية البيت - ألا طاقة لهم بمزاحمة الآخرين ؛ لأنهم - وتلك هى النتيجة - ضعفاء ، أو هم كالنساء لايردون الماء إلا بعد أن ينفض عنه الرجال ، وهو يستدعى إلى الذاكرة قصة ابنتى شعيب عليه السلام مع موسى حين سقى لهما [2] ، وبيت عمرو بن كلثوم فى نونيته الشهيرة:

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْواً
وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدَراً وَطِيْنَا

(١) العنكبوت من الآية ٤١ .
(٢) القصص ٢٣ : ٢٥ .

ومن هذين المصدرين كان الفرزدق يستقى ، شأنه فى هذا شأن غيره من شعراء عصره ؛ أعنى من القرآن الكريم ومن الشعر الجاهلى .

*** وفى قوله **«أبداً»** استمرار وديمومة حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فسوف يظل حال آل جرير - فى تصوره - هكذا ، وهو ضرب من الرجم بالغيب ، لايتفق وسنة الله فى كونه ،وما لفتنا إليه عز وجل فى قــــوله : ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [1] . وتظل الصــورة حاضرة ماثلة أمام أعيننا ؛ باخـتياره كذلك للفعل المضارع **(لايحتبى)** .
وفى قوله **(بفناء بيتك)** تحقيـر يستمد حـقارته من ضعة المضــاف إليه .
و**(عُدَّ)** بالبناء للمجهول ،لا منا ولا منكم ، وإنما يعد فعالنا وفعالكم ، ويحكم بيننا وبينكم ،آخرون ، لم يحددهم ، وهذا إنصاف منه .

و**(الفَعال)** بفتح الفــاء للفعل الحسن ، وهو المقـصود عند الموازنة ، وخاصة فى مجال الفخر ، أما (الفِعال) بكسرها فتشمل الحسن والقبيح، وتلك دقة من الفــرزدق تنسجم والموقف نفــسه الذى يستـدعى عد المآثر الحسنة دون غيرها ، لتغليب أحد المتنازعين أو الترجيح .

وفى **(ضربت)** ما يوحى بالثبــات وعدم التحول وفــقد القدرة على

(١) آل عمران من الآية ١٤٠ .

الفكاك ، وخصص بتقديم شبه الجملة على الفاعل فى قوله (**ضربت عليك العنكبوت**) ، وكذا فى (**وقضى عليك به الكتاب**) . وفيهما إضافة إلى التخصيص نوع من التأكيد . ومثل هذا التأكيد الذى يحرص عليه الشاعر كثيراً ؛ لينفى الشك لدى السامعين فيما يرمى به خصمه ، نجده فى البيت السابع ؛ بالاسمية ،واستخدام (**إنَّ**) ، وتقديم شبه الجملة (**إليه**) . والحركة بالعشى لورود الماء فيها ما فيها من الإيحاء بالتسلل والتستر بالظلام وعدم القدرة على مواجهة الأقوياء . وتحينهم لهذا الوقت تأكيد على ضعفهم ؛ لأنها توحى بالمبالغة فى الانتظار .

*****

الأبيات ٨ - ١٠ :

٨ - حُلَلُ المُلُوكِ لِباسُنا فِى أَهْلِنا
وَالسَّابِغاتِ إِلَى الوَغَى نَتَسَرْبَلُ

٩ - أَحْلاَمُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً
وَتَخالُنا جِنّاً إِذا مَا نَجْهَلُ

١٠ - فادفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِناءَنا
ثَهْلانَ ذا الهَضَباتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ؟

* (**حلل** : ثياب ، مفـردها حلة ؛ ثوب واحد له بطانة ، أو ثوب من جنس واحـــد ، أو قـمـــيص وإزار ورداء / **السابغات** : الـدروع الضافية / **الوغى** : القـتال / **نتسربل** : نرتـدى/ **أحلامنا** : مفردها حلم؛ وهو العقل أو الأناة / **رزانة** : وقار أو ثبات / **نجهل** : نتسافه ؛ فالجهل هنا ضد الحلم لا العلم ، بمعنى النزق والسفه والطيش والحمق / **ثهلان** : جبل ضخم بالعالية / **يتحلحل** : يتحرك أو يزول) .

** عودة مـرة أخرى إلـى الفخـر ، والفخـر هذه المرة يرتكز على جانبين؛ صـورتهم فى الحرب ، وصورتهم فى السـلم ؛ فهم فى السلم عظماء ، يرتدون لعظمتهم حلل الملوك ،فإذا مـا دعا داعى القتال خلعوا عنهم تلك الثياب وتسربلوا بالدروع وتجهزوا للحـرب ،فحياتهم الناعمة فى ظل السلام لم تقـتل فيهم شـجاعتـهم أو تطمس فيهم مـا ينبغى أن يتصـفوا به عند الحرب من الشـدة والقوة والبأس ، فهم فـيها شجـعان أقوياء .

وكما فخر بشجاعتهم من ناحية وعظمتهم من ناحية أخرى فى البيت الثامن ، فخـر فى البيت التاسع بسعة الأحـلام ، تلك التى تزن الجبال رزانة ووقاراً . والحلم قـد يكون مقـابلاً للجهل الذى سـوف يذكره فى

الشطرة التاليـة ، وقد يكون العـقل ؛ كما فى قـوله عز وجل : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذا ﴾ [1] ؟ وبكلا الفـهمـين - و لا يمنع أحدهمـا الآخر، وإن كان الأول أقـرب للتصور لمقـابلته بالجهل - يوقفنا الـشاعر على أبعاد جديـدة من أبعاد العظمة فى هؤلاء القوم ؛ فـهم ذوو عقول كبيرة ، والعقل مناط تكريم الإنسان . وهم يتمتعون بالقدرة العالية على ضبط النفس والأناة فى مجتمع يثور المرء فيه لأتفه الأسباب . لكنهم فى الوقت نفسه إذا مـا جهلوا - وقديما قيل : اتق شـر الحليم إذا غضب - حسـبتهم لغـضبتهم على من غـضبوا عليـه شياطين ؛ فـهم كالجن عند الغضب .

وبعـد فهـذا هو البناء الذى خلفـه لى أجدادى ، فـادفـعه بكفـيك الهزيلتين إن شئت ، فسوف يظل ثابتاً ثبات الجبال ، لاينال منه هجاؤك أو ادعاؤك أو تقولك على من فيه بالزور والبهتان .

*** تتـوالى الصور فى المقطع على قـصره ؛ صـورة قومـه وقت السلم وهم يرتدون ثياب الملوك ، وصورتهم فى الحـرب وهم يتسربلون بالدروع وأدوات القتـال . وبين الصورتين مقابـلة ، وبهما معـاً تكتمل

(١) الطور من الآية ٣٢ .

هيئتــهم ؛ فلاتغنى واحدة منهمــا عن الأخرى إلا ريثما تبــرز جانباً من الجانبين . وصورة الأحلام التى تزن الجبال فى الهدوء والرزانة والوقار ، تقابلها كذلك صورتهم فى وقت الجهل ، حيث شبههم بالجن . وصورة المهجو فى البيت الأخير ،وهو يحاول أن يزحزح جبلاً ضخماً عن مكانه فلايستطيع . وتشبيهه للبيت الذى ينتمى إليه بذلك الجبل العظيم .

وفى الحديث بضمير الجمع مــا يشعرك بالعظمة ، وهو يناسب مقام الفخر . ولعلك تلحظ معى مرة أخرى دقة الشاعر فى استخدام ألفاظه؛ حين قال «**نتسربل**» عند الحــديث عن الحرب؛ لأنهــا حــالة طارئة تأتى وتزول ، بينمــا اســتخدم الاسم (**لباسنا**) فى وقت السلم لأنهــا الحــالة الثــابتة . وكلمــة (**الســابغــات**) توحى بالكثـرة والمبــالغة فى الحــيطة والاستعداد . وتنكير (**جناً**) للتهــويل . وفى (**ادفع بكفك**) سخرية . والاستــفهام يحــمل معنى النفى . و(**ذا الهضبات**) إبراز لثبــات الجبل وعظمته وقوته .

* * * * *

الأبيات ١١ - ١٥ :

١١ - يـا ابْنَ المَرَاغَةِ أَيْنَ خـــالُكَ إِنَّنِى
خـــالِى حُبَيْشٌ ذُو الـفَعَالِ الأَفْضَلُ

١٢ - خـــالِى الَّذى غَصَبَ المُلُوكَ نُفُوسَهُمْ
وإِلَيْهِ كـــانَ حِبـــاءُ جَفْنَةَ يُنْقَلُ

١٣ - إِنَّ الَّتِى فُقِئَتْ بِهـــا أَبْصـــارُكُمْ
وَهِى الَّتى دَمَغَتْ أَبـــاكَ الـــفَيْصَلُ

١٤ - وَهَبَ القَصـــائِدَ لِى النَّوابِغُ إِذْ مَضَوْا
وأَبُو يَزِيـــدَ وذُو الـــقُرُوحِ وَجَرْوَلُ

١٥ - ولَقَدْ وَرِثْتُ لآلِ أَوْسٍ مَنْطِقـــاً
كَالـسُّمِّ خـــالَطَ جـــانِبَيْهِ الحَنْظَلُ.

* (**ابن المراغة** : جرير ، وكان يحلو للفرزدق دائماً أن يناديه بهذا، والمراغة المكان الذى تتمرغ فيه الدواب ، وهو أيضاً الأتان لاتمنع عنها الفحول ؛ وبهما معاً رمى أم جرير ؛ فكأنها ولدت فى مراغة الإبل ، وكأنها - بفهم آخر - كتلك الأتان لاترد يد لامس / **حباء** : عطاء ، والمراد هنا الضريبة / **جفنة** : يقصد آل جفنة ؛ وهم الغساسنة /

الفيصل : الفاصلة بالحق بيننا وبينكم / **دمغت** : أصابت الرأس حتى الدماغ / **النوابغ** : مفردها نابغة ؛ وهو من بلغ منزلة عالية فى الشعر ، وأطلق هذا اللقب على مجموعة من الشعراء ؛ منهم نابغة بنى شيبان ، والنابغة الذبيانى / **أبو يزيد** : المخبل / ذو القروح : امرؤ القيس / **جرول** : الحطيئة / **أوس** : هو أوس بن حجر ، الشاعر الجاهلى ، صاحب المدرسة التى ينتمى إليها زهير / **الحنظل** : نبت ذو ثمر مر) .

** يمتزج فى هذه الأبيات الفخر والهجاء ، والفخر ههنا بالفرع الآخر من أسرته ، فرع الأخول . وأخواله كما تعلم من ضبة لا من تميم . وهم لايقلون فى تصوره مكانة عن فرعه من جهة الأب . ويخص من هؤلاء حبيش بن دلف بن عسير بن ذكوان ، وكان سيداً فى قومه ، بلغ من بأسه وشدته كما يقال أن أسر أحد ملوك غسان - وهو عمرو بن الحارث - وجز ناصيته ، وفرض عليه إتاوة ، فعدها الفرزدق من فعاله الفاضلة ، وذكرها صراحة فى البيت الثانى عشر . فهل لديك يا جرير - أو بالأحرى يا ابن المراغة - خالا كهذا الخال ؟

ثم يفخر عليه أخيراً بشعره ، ولقد ورث الفرزدق الشعر - كما يزعم - عن فحوله ؛ فعد منهم النابغة الذبيانى ، والنابغة الجعدى،

والنابغة الشيبانى ،وغيرهم ممن حملوا لقب النابغة من الشعراء - أو ربما عنى نوابغ الشعــراء بصفة عامــة لاهؤلاء على وجه التحــديد - والمخبل السعــدى ،وامرأ القيس ،والحطـيئة ،وأوس بن حــجر ،ومدرســته التى كانت تعرف بمدرسة الصنعة أو عــبيد الشعر ،وإن لم يعن أنه ورث عن تلك المدرسة أسلوبهــا فى التحكيك والتنخـيل ، وإنما المنطق العنيف فى مقارعة الخصوم ووضوح الحجة،وربما يكون قد عنى بـ «آل أوس» شعراء تميم ؛كسلامة بن جندل ،وعلقمة الفحل ،وعبدة بن الطبيب ؛فقد كان أوس من تميم ،ومن هذا الميــراث الضــخم كــانت تلك القــصيــدة التى يسميهــا « الفيصل» ،وهى لاميته التى بين يديك ،والتى فـقأ بها أبصار بنى يربوع رهط جرير ودمغ بها أباه .

* * والاستفــهام بـ «أين» فى البيت الحادى عشــر يحمل إجابة واحدة نعرفها سلفاً - أو هكذا أراد الشاعر فى الأقل من هذا الاستفهام- هى «لا أين» ، وفيه سخــرية واستهزاء بالخصم ،خصــوصاً حين يقابل هذا بقوله « خــالى . . . » إلى آخره ،فيضع بإزائه ســيداً عظيم الشأن . وهذا لايعنى أن جــريراً ليس له أخوال ، وإنما يعنى أنه ليس لــديه خال

كهذا الخال . والتـفضيل فى قوله «**الأفضل**» على إطلاقـه . و«**غصب الملوك نفوسهم**» . كناية على أنه قد غلبـهم على أمرهم ، وإن لجأ إلى التزيد باستخدام صيغة الجمع .

وفى «**يُنْقَل**» بالبناء للمجـهول معنى الاضطرار . وخصص بـتقديم «**إليه**» فهى لاتُنقل إلا إليه . أما قصيدته الفيـصل فقد شخصها وجعلها تفقـأ الأبصار وتدمغ ، كناية عمـا أحلته بهؤلاء من الإذلال . و تشبـيه المنطق بالسم فى البيت الأخير ، بل السم الذى خالطه الحنظل ،هو خير ما تختم به الأبيات ،بعد أن نال بها من خصمه ما نال . ولم ينس أيضاً أن يؤكد بالـقسم و«**قد**» ، كـما أكـد فى البيت الثـالث عشـر بـ«**إن**» والاسمية والتقديم فى قوله «**دمغت أباك الفيصل**» . وتنكير المنطق فى البيت الأخيـر للتهويل والتعظيم . وخلط السم بالحـنظل إمعان فى إبراز ما يحمله أسلوبه فى الهجـاء - ذلك الأسلوب الذى ورثه عن سابقيه - من القوة وشدة الفتك والمرار .

فماذا بمقدور جرير أن يقول بعد هذا كله ؟ ! هذا ما سوف نرى .

هـ - مختارات من شعره :

١ - فى مدح زين العابدين :

هذا الذى تـعـــرف البطحـــاء وطأته

والبـيت يـعــرفـه والحل والحـرم

هذا ابن خــيــر عـبــاد الله كـلهم

هذا الـتــقى النـقى الطـاهر العـلم

هذا ابن فــاطمــة إن كنت جــاهله

بجـده أنـبـيـاء الـلـه قـد خـتـمـوا

وليس قــولك : من هذا ؟ بضــائره

العـرب تعـرف من أنـكرت والعـجم

إذا رأته قــريش قــال قــائلهــا :

إلى مـكارم هـذا ينـتـــهى الـكرم

يغـضى حـيـاء ويغضى مـن مهـابتـه

فـمــا يكلم إلا حـين يـبـتــسم

مـشـتـقـة من رسـول الـله نبـعـتـه

طابت مــغـارسـه والخيم والـشـيم

ينشـق ثوب الدجى عن نـور غــرته.

كالشمس تنجاب عـن إشراقها الظلم.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

٢ - فى ذم إبليس :

أطعـــتك يا إبلــيس ســبعين حــجــة

فلمـــا انتــهى شــيـبى وتم تمامى

فـــــررت إلـى ربـى وأيقـنـت أننـى

مــــلاق لأيـام المنون حــمـــــامى

ألا طال مــــا قــد بت يــوضع ناقـــتى

أبو الجـن إبلـيس بـغـــيــــر خـطام

يظـل يمنـيـنـى عـلى الرحـل واركـــــا

يــكون ورائـى مـــــرة وأمـــــامـى

يبـــــشـــــرنى أن لـن أمــــوت وأنه

ســـيـــخـلدنى فـى جنة وســــلام

ومـــا أنــت يا إبلـيس بـالمرء أبتـــغى

رضـــاه ولا يـقـــتـــادنى بـزمــــام

فكم من قــرون قـد أطاعـوك أصـبـحـوا

أحـــاديث كـــانوا فـى ظلال غــمــــام.

*****

٣ - فى طلاق نوار :

نـدمت نـدامـــــة الكســــعى لمـا

غــــدت منى مـطـلقــــــة نـوار

وكـــانت جنتـى فــخــرجت منهـــا

كــــآدم حين لـج بـه الضــــرار

وكنت كــفــاقئ عــينيـه عــمــداً

فــأصــبح مـــا يضىء لـه النهـــار

ولايــوفــى بــحــب نـوار عــنـدى

ولا كلـفى بـهـــا إلا انتــــحـــار

ولو رضـــيت يداى بـهـا وقـــرت

لكـان لهـــا على الـقــدر الخـــيـــار

ومـــا فـارقــتـهـا شـبــعــاً ولكن

رأيت الـدهر يأخـــذ مـــا يـعـــار.

* * * * *

جـــريـــــر

أ – ملامح من حياته وفنه :

هو أيضـاً من تميم ، لكنه ينتمى إلـى فرع آخر غـير الفـرع الذى ينتمى إليـه الفرزدق ؛ فالفرزدق – كـما ذكرنا – من مجـاشع ، بينما جرير من يربوع . وليربوع أيام ووقائع فى الجاهليـة والإسلام بها فخر جرير فى شـعره ، وفيهـا كثير مـن الفرسان ، غيـر أنه كان من بطن ضعيف طالما عيره الفـرزدق به ؛ وهم بنو كليب . لذلك كان يتجاوز عامداً هذا البطن ، ويكثر من ذكر بنى يربوع .

وقد عـرفت عشيـرته بالرعى ، وكان جده الخطفى – وهو شـاعر أيضاً ، وربما أتاه الشعر من قِبَلِهِ – كثيـر المال ، إلا أنه فيما يبدو كان يبخل عليه بماله ، وقـد عاتبه جرير فى بعض شـعره ؛ قيل إنه أعطاه ذات يوم من ماله ، ثم رجع واسـترد منه ما أعطاه – وقـيل إن جريراً كان قد استزاده فـتسخطه فعاد بسبب ذلك فيمـا أعطى – فقال جرير وهو من بدايات شعره :

وَإِنِّى لَمَغْرُورٌ أُعَلَّلُ بِالْمُنَى
لَيَالِىَ أَرْجُو أَنَّ مَالَكَ مَالِيـــــــــا

فَأَنْتَ أَبِى مَالَمْ تَكُنْ لِىَ حَاجَةٌ
فَإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لا أَبـا لِيـــــــا

. . . .

. . . .

وَلَيْسَ لِسَيْفِى فِى الـــــــــعِظَامِ بَقِيَّةٌ
وَلَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيــــــا[1] .

وكان يزيد ينشدها معاوية ، ويظنهـا معاوية له ، حتى مات ووفد جـرير على يزيد ، فاعـترف يزيد لـه بها . والبـيت الأخيـر ينم عن مسلكه الذى سوف يسلكه بشعره فيما بعد ، وكأنه القطرة التى سوف يعقـبها وابل -لاطل - من الهجـاء . يقول الدكتور شـوقى ضيف : «وواضح أنه يجـعل لسـانه أقطـع من السـيف ؛ فـالسـيف إنما يقطع الشوى؛ أى الأطراف ،فيبقى على من طعنه ، أما لسانه فلا يبقى بقية فيمن يطعنه . وهو استهلال لحياته الشعرية ، يدل على أنه مقتحم بها فن الهجاء ، وقد ظل يجول ويصول فى هذا الفن منذ خلافة يزيد إلى وفاته» [2] .

---

(١) ديوانه (ط . بيروت) ص ٤٦١ .
(٢) العصر الإسلامى ص ٢٧٧ .

أما أبوه عطية فكان فقيراً رقيق الحال ، وكان مضعوفاً - واهى الفؤاد قليل الفطنة - على حد تعبير ابن قتيبة [1] . وأمه أم قيس بنت معبد ،من بنى كليب بن يربوع أيضاً ، وهى التى سمته بهذا الاسم -ومعناه الحبل - لرؤيا رأتها وهى حامل به . وقيل إن حمله لم يتم وإنه ولد لسبعة أشهر . وكان ميلاده باليمامة ، وفى بواديها نشأ ، وظل عمراً طويلاً بها ،حتى اشتبك مع الفرزدق - وكان الفرزدق بالبصرة يملأ الدنيا عليه ويتناقل الرواة عنه ما يقوله فيه من الشعر - فنصحه ذووه بالرحيل إلى البصرة ، فشد إليها الرحال ، ولم يعد إلى اليمامة - بقصد الإقامة - إلا فى أخريات حياته ، وفيها دفن مع الأعشى ، واستمر الشعر فى أحفاده وبنيه .

هو جرير بن عطية بن حذيفة - وحذيفة هذا كان يلقب بالخطفى لبيت قاله- بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع ، فحل من فحول الشعراء فى الإسلام ، يُشَبَّهُ من شعراء الجاهلية بالأعشى [2] ، كنيته أبو حزرة ، و لد بعد نيف وثلاثين عاماً من الهجرة ،وامتد به العمر حتى بداية العقد الثانى من القرن الثانى الهجرى ؛ حيث كانت وفاته على الأغلب سنة ١١٤ هـ ،بعد حياة حافلة ،اشتبك خلالها مع

(١) الشعر والشعراء ص ٤٧١ .

(٢) الشعر والشعراء ص ٤٧٢ .

أكثر من أربعين شاعراً ، وقيل ثمانين . ولم يثبت له فى تلك المعارك غير الفرزدق والأخطل، الضلعان الآخران فى مثلث الهجاء فى العصر الأموى ؛ يقول الأصمعى : « كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمى بهم واحداً واحداً ، ومنهم من كان ينفحه فيرمى به ، وثبت له الفرزدق والأخطل » [1] .

ولم يكن هو الذى يبدأ بالهجاء على أية حال ،وإنما كانوا يبدءون،ثم لايعفو ، أوكما يقول : «إننى لا أبتدى ولكن اعتدى» [2]. يعنى أرد على اعتدائهم حين يعتدون علىَّ . ومن هؤلاء الذين ناصبوه العداء الراعى النميرى ، وقد أخزاه وأخزى قبيلته بقصيدة طويلة [3] ، أنشدها إياه بالمربد وفيها بيته الشهير :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ
فَلاَ كَعْباً بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبا .

وقيل إن الراعى كمد فمات بسببها ، وغسان السليطى ،والبعيث والصلتان العبدى ،وعمر بن لجأ التيمى ،وسراقة البارقى ،والعباس

---

(١) الأغانى (ط . الشعب) جـ٨ ص ٢٧٥٤ .

(٢) طبقات فحول الشعر ص ٤٤٤ . وقد نقلها عن ابن سلام الجاحظ فى الحيوان جـ٣ ص ٩٩ ، ٤٧٠ والبيان والتبيين جـ٣ ص ١٦٥ .

(٣) ديوانه (ط . بيروت) ص ٥٧ .

ابن يزيد الكندى -وقد ضج قومه إلى جرير ليكف عنهم ،فاستخبرهم عن مساويه ،فـأخبروه ،فهجـاه بأبيات مقذعة ،قـيل إنه لما أتته مات كمداً [١] - وأحمر بن غدانة من بنى عصـر ، وقد أرسله قومه مشدود الوثاق إلى جرير ليحكم فيه [٢] ؛ خوفاً منه ومن لسانه .

وكثيراً ما كان يتعرض له بعض الشعراء - وخاصة من المغمورين- ليهـجوهم ،فـتطير لهم شـهرة بين الناس ؛كـأحمر بـن غدانة هذا ، واللعين المنقرى ،الذى تعرض له وللفرزدق معاً ،فلم يلتفتا إليه [٣] .

واتقى عدى بن الرقاع العاملى - شـاعر البلاط الأموى - شره ، واستـغاث بالخليفة منه ،فـتهدده الوليـد ،فلم يجد سبيـلاً إليه إلا أن يكنى عنه فى بعض شعره[٤] . وقد أقامه الوليد بن عبد الملك - وكان يتأله فى نفسه - مع ابن لجأ على البلس ،وأمر بضربهما ،حين استطار الهجاء بينهما فأفحشا فيه وقذفا المحصنات [٥] .

أما اشـتبـاكه مع الفرزدق - وقـد عرضـه وعرض الفـرزدق لهدم داريهما ذات يوم على يد أحـد عمال الزبيريين بالعراق - فكان سـببه

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٤٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٨٤ .

(٥) المصدر نفسه ص ٤٣١ .

كما تذكر الروايات ،أن أحد بنى نهشل ؛وهو غسان السليطى ، قد هجاه ، فرد عليه جرير وفضحه وأخزاه ، فاستعان غسان هذا بالبعيث، ففضحه جرير كذلك ، فضج البعيث إلى الفرزدق - وهو قريب له - وكان الفرزدق بالبصرة ، قد قيد نفسه وآلى ألا يفك قيده حتى يحفظ القرآن ، فمازال به حتى أغراه بدخول تلك المعركة .

ولعل الفرزدق كان يضمر له شيئاً فى نفسه من قبل ، فالتقت حاجة قبيلته مع حاجته ، واستطار من ثم بينهما الهجاء . وظل قرابة - أو ما يزيد عن - أربعين عاماً ، دون أن يتغلب أحدهما على الآخر. ولم يتهاج شاعران فى الجاهلية أو الإسلام كما تهاجيا [1] . وتطور فى ظل هذا الهجاء فن النقض الذى نعرض عليك نموذجاً منه.

والنقض لغةً الهدم والحل وعدم الإبرام ، يقال : نقض البناء هدمه، ونقض الحبل حله أو فكه ؛ ومنه ﴿ ولا تَكُونُوا كالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً﴾ [2] . ونقض العهد لم يبرمه وخاس به .

وتقترب بعض هذه المعانى - وخاصة الهدم - مع ما يفهم فى الاصطلاح من تلك الكلمة ؛ فالنقض فى المصطلح الأدبى أن يقول

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٣٨٩ .

(٢) النحل من الآية ٩٢ .

شاعر قصيدة فى غرض مـا - يكون فى الغالب فخراً أو هجاء - فيرد عليه شاعـر آخر ، على الوزن نفسه والقافيـة والروى ، مفنداً لما جاء فى قصيـدته من المعانى والأفكار ، سالكاً طرقاً عـدة ؛ فَصَّلَ الدكتور أحمـد الشايب القـول فيـها - ولعله أول من أفـرد لهذا الفـن دراسة مستـقلة - فى كتابه « تاريخ النقائض فى الشـعر العربى» . ومن هذه الطرق التكذيب ، والتـوجـيه ؛ والموازاة ، والقلب ، والإقـرار - أو التسليم - وهو أضعفها جميعاً .

وقد تطور هذا الفن فى العـصر الأموى فى ظل ظروف اجتمـاعية وثقافية خاصة ، حتى عده الدكتور شوقى ضيف [1] فناً جديداً ،على الرغم من وجود جذور له فى الجاهليـة وصدر الإسلام . ومن سمات التطور التى لاحظها - إضافة إلى الكثرة والشـيوع والانتشار - وجود جمهور لهذا الفن ،يجتمع فى أسـواق البصرة ،للاستماع إلى الشعراء والاستمـتاع بهم ،كما يجتـمع الجمهور فى العصـر الحديث لمباريات الكرة وغيرها ،واحتراف بعض الشـعراء لهذا الفن ؛ كجرير والفرزدق والأخطل، واستمرار التهاجى وتحوله إلى نوع من المناظرات ،يفاد فيها بالنشاط العلمى والتطور العقلى الهائل الذى شهدته البيئات الجديدة فى

(١) التطور والتجديد ص ١٦٢ : ١٦٦ ، العصر الإسلامى ص ٢٥١ .

ذلك العصر وثقافة الشعراء ؛وهى ثقافة تجمع بين القديم والجديد .

ومنها كـذلك أنهم كانوا يقصدون بهـا - فضلاً عن تحقـيق الغلبة والتنافس الشـخـصى والانتـصـار - إلى نوع من التـسليـة - بالتندر والسخرية ومحاولة الإضحاك - لقطع الفراغ، وملء أوقات العاطلين، وصرف الشباب - وهنا يبرز العـامل السياسى ويتجلى بوضوح - عن السياسـة وميدانها ، والانضـمامِ إلى الأحزاب المتصـارعة والمناوئة فى جملتها للحزب الحاكم فى الشام . من هنا كان تشجيع الحكام - فيما يرى - والأمراء ؛ كبشر بن مـروان ، لهذا الفن . ثم لاحظ آخيراً ما اعتراه - من الناحية الفنية - من التوليد والتركيب .

ونضيف وجود أنواع لم تكن مـعروفة من قبل ، يعنى فـيها عناية فائقة بالعقل ؛ كالنقائض المذهبية التى ظهرت بذور لها فى ظل الصراع بين الفرق ، وقد لاحظناها فى كتابنا « شـعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى العصر الأموى» .

*****

ب - مصادر ترجمته وشعره :

ترجمته : الأعلام للزركلي جـ٢ ص ١١١ / الأغاني (ط . الدار) جـ٨ ص ٣ / تاريخ الأدب العربي لبروكلمان جـ١ ص ٢١٥ / تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان جـ ١ ص ٢٥١ / تاريخ التراث العربي لسزكين م٢ جـ٣ ص ٦٧ / خزانة الأدب جـ١ ص ٣٦ / دائرة المعارف الإسلامية (مادة جرير) / سمط اللآلي ص ٢٩٢ / شرح الشواهد الكبير للعيني جـ١ ص ٩١ / شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٦ / الشعر والشعراء ص ٤٧١ / طبقات فحول الشعراء ص ٣٧٤ / العصر الإسلامي - د . شوقي ضيف ص ٢٧٦ / العقد الفريد جـ١ ص ١١٤ / فحولة الشعراء للأصمعي ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٥ / مرآة الجنان لليافعي جـ٢ ص ٢٣٤ / مراجع الوهابي جـ٢ ص ١٤٨ / المستطرف للإبشيهي جـ١ ص ٥٣ / معجم المؤلفين لكحالة جـ٣ ص ١٢٩ / معرفة أخبار الرجال للكشي ص ٨٦ / معاهد التنصيص جـ٢ ص ٢٦٢ / المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٧١ / الموشح للمرزباني ص ١١٨ / النجوم الزاهرة لابن تغري بردي جـ١ ص ٢١١ / وفيات الأعيان لابن خلكان جـ١ ص ١٠٢ .

شعره :

- حققــه محمد الشــواربى (اعتماداً على مخطــوط من القرن السادس الهجرى) ونشره بالقاهرة سنة ١٣١٣هـ .

- ومحــمد إســماعــيل عبــد الله الصاوى ونشــره بالقاهرة أيضــاً سنة ١٣٥٣هـ تحت عنوان « شرح ديوان جرير» .

- وكرم البستانى فى بيــروت ؛طبعة أولى سنة ١٩٦٠م ،وطبــعة ثانية سنة ١٩٦٤م .

- ونعمان أمين طه بالقــاهرة سنة ١٩٦٩م ، ١٩٧١م (فى مــجلدين ، وهو فيما أعلم أفضل تحقيق له) .

- ومــهدى مــحمــد ناصر الدين (شــرحــه وقدم له) فى بيــروت سنة ١٩٨٦م.

* أما نقائضه مع الأخطل فقــد نشرها أنطون صالحانى فى بيروت سنة ١٩٢٢م . ونشر نقــائضه مع الفــرزدق - كمــا أشرنا فى ترجــمة الفــرزدق - بيفان فــى ليدن سنة ١٩١٢م ،وعبد الــله الصاوى فى القاهرة سنة ١٩٣٥م .

* * * * *

جـ - النص :

يقول جرير [1] :

١ - أَعْدَدْتُ لِلشُّعَرَاءِ سُمّاً نَاقِعاً
فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأَوَّلِ

٢ - لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الفَرَزْدَقِ مِيْسَمِى
وَضَغَا البَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ

٣ - أَخْزَى الَّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعاً
وَبَنَى بِنَاءَكَ فِى الحَضِيضِ الأَسْفَلِ

٤ - وَلَقَدْ بَنَيْتَ أَخَسَّ بَيْتٍ يُبْتَنَى
فَهَدَمْتُ بَيْتَكُمُ بِمِثْلَىْ يَذْبُلِ

٥ - إِنِّى بَنَى لِىَ فِى المَكَارِمِ أَوَّلِى
وَنَفَخْتَ كِيرَكَ فِى الزَّمَانِ الأَوَّلِ

٦ - أَعْيَتْكَ مَأْثُرَةُ القُيُونِ مُجَاشِعٍ
فَانْظُرْ لَعَلَّكَ تَدَّعِى مِنْ نَهْشَلِ

٧ - قُتِلَ الزُّبَيْرُ وَأَنْتَ عَاقِدُ حُبْوَةٍ
تَبّاً لِحُبْوَتِكَ الَّتِى لَمْ تُحْلَلِ

٨ - لا تَذْكُرُوا حُلَلَ المُلُوكِ فَإِنَّكُمْ

بَعْدَ الـزُّبَيْرِ كَحَـــــــائِضٍ لَمْ تُغْسَلِ

٩ - أَحْلامُنَـا تَزِنُ الجِبَـــــــالَ رَزَانَةً

وَيَفُوقُ جَـــــــاهِلُنَـا فَعَالَ الجُهَّلِ

١٠ - فَارْجِعْ إِلَى حَكَمَيْ قُرَيْشٍ إِنَّهُمْ

أَهْلُ الـنُّبُوَّةِ وَالـكِتَــــــــابِ المُنْزَلِ

١١ - أَبَنُو طُهَيَّةَ يَعْدِلُونَ فَوَارِسِي

وَبَنُو خَـــــضَافٍ وَذَاكَ مَـــــا لَمْ يُعْدَلِ

١٢ - كَـــانَ الـفَرَزْدَقُ إِذْ يَعُوذُ بِخَـــالِهِ

مِثْلَ الـــذَّلِيـــلِ يَعُوذُ تَحْتَ الـــقَرْمَلِ

١٣ - إِنَّ الَّذِى سَمَكَ الـسَّمَــــاءَ بَنَى لَنَا

بَيْتَـــاً عَلاكَ فَمَـــــا لَهُ مِنْ مَنْقَلِ

١٤ - أَبْلِغْ بَنِى وَقْبَـــــانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ

خَفَّتْ فَمَـــــــــا يَزِنُونَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

١٥ - أَزْرَى بِحِلْمِكُمُ الـفِيَــــاشُ فَأَنْتُمُ

مِثْلُ الـــفَرَاشِ غَشِيْنَ نَـــارَ المُصْطَلِى.

د - تحليل :

الأبيات ١ - ٤ :

١ - أَعْدَدْتُ لِلشُّعَرَاءِ سُمّاً نَاقِعاً
فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأَوَّلِ

٢ - لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الفَرَزْدَقِ مِيْسَمِى
وَضَغَا البَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ

٣ - أَخْزَى الَّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعاً
وَبَنَى بِنَاءَكَ فِى الحَضِيضِ الأَسْفَلِ

٤ - وَلَقَدْ بَنَيْتَ أَخَسَّ بَيْتٍ يُبْتَنَى
فَهَدَمْتُ بَيْتَكُمْ بِمِثْلَىْ يَذْبُلِ

* (**ناقع** : شديد قاتل ، ويريد بالسم الناقع الهجاء المر / **ميسمى**: أصل الميسم الحديدة يكوى بها - اسم آلة على وزن مِفْعَل - والمقصود بها هنا قصائد الهجاء / **ضغا** : يقال ضغا فلان ضغاء إذا تضور من الأذى ، وضغت الكلاب إذا نبحت . فهو يصدر صوتاً -من شدة الألم - يشبه فى مخيلة الشاعر - لا أذنه - صوت الكلاب/ **جدعت** : قطعت / **أخزى** : أهان وأذل / **مجاشع** : جد

الفرزدق ؛ يعنى عشيرته المنتمية لهذا الجد / **الحضيض** : ما سفل من الأرض ، والحضيض كذلك نهاية سفح الجبل / **أخس** : أحقر وأتفه وأقل / **يذبل** : جبل بنجد ذكره امرؤ القيس فى معلقته) .

** لمثل هذا الموقف كان جرير قد استعد من قبل ، وهو ما نفهمه من اختيــاره للفعل الماضــى (أعددت) ، ولم يكن استــعداده فى الحق للذود عن نفسه وعن عشيرتــه وقومه إزاء الفرزدق فحسب ، وإنما هو استعداد (للشعراء) ؛ مَنْ آذاه وتطاول عليــه بالفعل ،ومن تحدثه نفسه بمثل هذا ولم يفــعله بعد ، فــتحمل الجــملة معنى الوعــيد والتــهديد والإنذار ،كما تحمل معنى الإقرار .

وماذا أعد ؟ لايمكن بطبيعــة الحال أن يكون قد أعد لهم الورود أو الحلوى ، ولايعقل أن يدير لهم خده الأيســر عملاً بالقول المأثور (من ضربك علــى خدك الأيمن فأدر له خــدك الأيسر) . إن المعــاملة بالمثل -وهو مبدأ يقــره الإسلام وإن قدم العفو عليه - هو خــير ما يمكن أن يواجــه به هؤلاء ، فنراه وقــد أعد لهم كــئــوساً من السم الزعــاف ، يسقيهم بها ؛ الواحد تلو الآخر ، فيدرك آخِرُهم أوَّلَهم ، وتتوالى فى

منظومته الأسماء ؛ الفرزدق ، الأخطل ، البعيث ، وأسماء أخرى لم يذكرها اكتفاء بهذا الثالوث الكبير .

ويعنيه الآن من هؤلاء جميعاً الفرزدق ؛ فقد جدع أنف الأخطل، وترك البعيث يتضور من شدة ما حاق به ولايملك غير النباح . ويعنيه من الفرزدق قصيدته المذكورة على وجه التحديد ؛ فهى النقيضة / المنقوضة ، التى ملأها الفرزدق فخراً وهجاء وطبقت شهرتها الآفاق . وكما يقتضى فن النقض لابد أن يواجه الناقض ما ذكره المنقوض - وهذا ما ينتظره المستمعون فى الأقل - نفياً وتكذيباً ، أو إقراراً وتسليماً ، أو توجيهاً ، أو قلباً ، أو موازاة ؛ فيبدأ - أول ما يبدأ - بالتكذيب ؛ فالبيت الذى يذكره الفرزدق على أنه أعز بيت ، والذى بناه - حسبما ذكر - المليك جل وعلا -حكم السماء -هو فى تصور جرير أخس بيت؛ فالله لم يبنه على الصورة التى ذكر ، وإنما - خزياً لبنى مجاشع - قد جعله فى الأسفلين . وبيت كهذا لايصعب هدمه، وقد هدمه على حد قوله - بالفعل ؛حين غطاه بمجده وأمجاد قومه وعشيرته ؛ ذلك المجد الذى يطاول -حسب زعمه - الجبال .

*** فإن أعدت النظر فى الأبيات ،وجدت صوراً جزئية ، **كالسم الناقع** ؛وهى استعارة تصريحية ، أكدها ورشح لها بقوله **(سقيت) و(كأس)** ، وفيها إيحاء بمرارة شعره وشدة فتكه وعدم رفقه ورأفته بالخصوم ، **والميسم** استعارة تصريحية كذلك .

و**(جدعت أنف)** كناية يؤكد بها إذلاله بشعره للأخطل . و**(بنى بناءك)** كناية عن الهوان و حقارة الشأن . و**(هدمت بيتكم بمثلى يذبل)** استعارة مكنية وتشبيه . وبين **(آخرهم)** و**(الأول)** ، و**(بنيت)** و **(هدمت)** تضاد . ووصف **(الحضيض)** وهو شىء منخفض جداً بـ **(الأسفل)** مبالغة وإمعان منه فى إبراز حقارة ذلك البيت الذى يفتخر به خصمه . و**(لقد بنيت)** تأكيد . و**(بنى بناءك)** جناس ناقص . والفاء فى **(فهدمت)** تدل على السرعة ، وأن التقويض لم يستغرق جهداً أو وقتاً ؛ لأن البناء - كما يذكر - واهٍ ضعيف .

* * * * *

الأبيات ٥ - ٨ :

٥ - إنِّى بَنَى لِىَ فِى المكـــــــارِمِ أوَّلِى
وَنَفَخْتَ كِيـــــرَكَ فِى الـزَّمـــــانِ الأوَّلِ

٦ - أعْيَتْكَ مَأثُرَةُ الـــــــقُيُونِ مُجَاشِعٍ
فَانظُرْ لَعَلَّكَ تَدَّعِى مِنْ نَهْشَلِ

٧ - قُتِلَ الـزُّبَيْرُ وَأنْتَ عـــــاقِدُ حُبْوَةٍ
تَبّاً لِحُبْوَتِكَ الَّتِى لَمْ تُحْلَلِ

٨ - لا تَذْكُرُوا حُلَلَ المُلُوكِ فَإنَّكُمْ
بَعْدَ الـزُّبَيْرِ كَحـــــائِضٍ لَمْ تُغْسَلِ

* (**المكارم** : جمع مكرمة وهى ما يفخر به المرء ويعتد / **أولى** : يعنى آباءه وأجداده / **كيرك** : الكير جهاز من جلد أو نحوه ينفخ به الحداد موقده لإشعال النار / **مأثرة** :مكرمة ؛ ما أثره أو ورثه عن الأجداد ،من المكارم والأمجاد . لكن لاحظ أنها هنا قد أعيته ، أى أنه بحث عنها فلم يجدها ؛لأنها لاتوجد أصلاً / **القيون** : جمع قين وهو الحداد وبه كان يرمى الفرزدقَ وأجدادَه فى شعره / **تدعى** : تنتسب / **نهشل** : أخت مجاشع ؛ فرع آخر من فروع تميم) .

** تدفعه الشطرة الأخيرة فى المقطع السابق إلى الفخر بنفسه - على سبيل الاستمرار - فيذكر أن أجداده قد خلفوا له مجداً عظيماً . لكنه لايطيل فى هذا المعنى ؛ لأنه قائم - فى الحق - على الزعم ؛ إلا إذا عنى أجداده الأعلى من يربوع ؛ كحنظلة وزيد مناة وتميم ، وحينئذ فلا مجال لفخره على الفرزدق ؛ لأنه يشترك معه فيهم ، أما مَنْ دون هؤلاء فكانوا دون أجداد الفرزدق بكثير ، وعلى الرغم من هذا فإن جريراً لايسلم بما نقول ، وعلى سبيل المقارنة يذكر أجداد الفرزدق واصفاً إياهم - كما كان يحلو له دائماً - بالقيون ، فهم منذ القدم يعرفون - وذلك تزييف للواقع - بالحدادة ونفخ الكير ، وهو ما خلفوه لسبطهم ، فكيف يفتخر فى قصيدته بهذا الأصل ؟

لقد بحث الفرزدق عن مكرمة فى حسبه من جهة أبيه فأعياه البحث ، فنصحه جرير ساخراً بالانتساب إلى فرع آخر - وهم بنو نهشل - إن أراد الفخر ؛ أى يفخر بفرع آخر قريب من الفرع الذى ينتمى إليه . وفى الحق أن جريراً هو الذى كان يفعل هذا كثيراً ، وأن الفرزدق لم يعيه إيجاد مآثر لا مأثرة واحدة فى أجداده لأبيه ، وأما القيون التى عمهم بها جرير فكانوا غلماناً لصعصعة بن ناجية ، ولم يكن صعصعة نفسه قيناً .

ولايكتفى جرير بهذا ،وإنما يعرج على المرتكز الثانى الذى كان يرتكز دوماً عليه فى الاستهزاء بقوم الفرزدق والتقليل من شأنهم ، فيذكر مقتل الزبير بن العوام ؛ذلك الصحابى الجليل ،على يد واحد من بنى مجاشع - وهو عمرو بن جرموز - وتحت أعينهم ،دون أن يجد من ينصره أو يدفع عنه ، بل خذله - فيما يقال - سيد تميم الأحنف بن قيس ، وكان قد استجار به فلم يجره .

وكان مقتله رضى الله عنه عقب انصرافه من موقعة الجمل ، فاستغل جرير تلك الحادثة - على قدمها - للتشهير ببنى مجاشع وإفحام الخصم - لأنه لم يكن يجد فى الحق ما يرد به على تلك النقطة بالذات - وكسب العامة إلى صفه ، خاصة وأنه يضرب على وتر من أشد الأوتار حساسية ؛ وهو الدين.

فإذا كان الفرزدق قد فخر بحبوة أجداده وشبه حللهم بثياب الملوك، فقد وجه جرير ذلك المعنى ونقله من الفخر إلى الهجاء ؛ فحبوتهم عار عليهم ؛ لأن الزبير قد قُتِلَ بين ظهرانيهم وهم محتبون تلك الحبوة ، لم يتحرك واحد منهم لنصرته ، ألا قبحها الله من جلسة وقبح تلك الثياب .

لم يلجأ جرير إلى التكذيب ههنا ؛ فقد تكون ثيابهم فاخرة حقاً، وقد تكون بالفعل كحلل الملوك ، لكن هل تغنى الثياب عن أصحابها شيئاً ؟ إنك إن فتشت تحت الثياب فلن تجد إلا القذارة والدنس ، فلا تذكروا تلك الحلل ، فإنكم تحتها -بعد فعلتكم تلك - كحائض لم تطهر من دماء الحيض .

*** وفى تقديم **(لى)** على الفاعل تخصيص واهتمام ،و **(إنى)** توكيد، وبين شطرى البيت الخامس مقابلة تبرز المعنى وتوضحها ، والتعبير بالواحد فى **(مأثرة)** للتقليل ، و**(أعيت)** مبالغة فى النفى ، وفيها كذلك استعارة مكنية ؛ فالفاعل هنا لايعى على الحقيقة ، وفى الأمر **(انظر)** تعال وسخرية ، و**(تدعى)** تكلف الانتساب؛لأنه ليس منهم ولن يكون مهما صنع .

وبناء الفعل للمجهول **(قتل)** لمعلومية القاتل واحتقار له ؛ فهو أقل من أن يذكر ،و**(حبوة)** نكرة للتقليل . و**(تبأ)** تشى بالتبرم والضيق ، وتوحى **(حبوتك)** بالاحتقار . والاسم الموصول وصلته للتفصيل ، و**(لاتذكروا)** - بصيغة الجمع - ليشرك مع الفرزدق قومه ، وجملة

(**فإنكم . . .**) تعليل ، وهى مؤكدة بـ(**إن**) والاسمية ،و(**بعد الزبير**) اعتراض .

و(**كحائض لم تغسل**) تشبيه رائع ؛ حيث جعلهم - وقد فخر الخصم بقوتهم - كالنساء فى أشد حالات ضعفها ، وجعلهم - وقد فخر الخصم كذلك بشرفهم وطيب أصلهم ورفاهة ثيابهم وحسن مظهرهم - كالمرأة التى لم تطهر بعد من حيضها، مع ما توحى به تلك الكلمة - كلمة حيض - من معان كثيرة فى الذهن يؤكد بعضَها قولُه (**لم تغسل**) . أو يكون التشبيه فى هذا السياق - بفهم أدق - تواروا عن الأعين بعد فعلتكم تلك ،كما تتوارى الحائض وتتستر قبل طهارتها ، وهو أبلغ ما يقال لهم وقد اختالوا بحللهم واستطالوا برءوسهم وظنوا أنفسهم من الملوك لا من سائر الناس .

* * * * *

الأبيات ٩ - ١٥ :

٩ - أَحْلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً
وَيَفُوقُ جاهِلُنا فَعَالَ الجُهَّلِ

١٠ - فَارْجِعْ إِلَى حَكَمَىْ قُرَيْشٍ إِنَّهُمْ
أَهْلُ النُّبُوَّةِ وَالكِتابِ المُنْزَلِ

١١ - أَبَنُو طُهَيَّةَ يَعْدِلُونَ فَوارِسِى

وبَنُو خــضَافِ وَذاكَ مــا لَمْ يُعْدَلِ

١٢ - كــانَ الـفَرَزْدَقُ إِذْ يَعُوذُ بِخــالِهِ

مِثْلَ الــذَّلِيــلِ يَعُوذُ تَحْتَ الــقَرْمَلِ

١٣ - إِنَّ الَّذِى سَمَكَ الـسَّمــاءَ بَنَى لَنا

بَيْتــاً عَلاكَ فَمــا لَهُ مِنْ مَنْقَلِ

١٤ - أَبْلِغْ بَنِى وَقْبــانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ

خَفَّتْ فَمــا يَزِنُونَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

١٥ - أَزْرَى بِحِلْمِكُمُ الـفِيــاشُ فَأَنْتُمُ

مِثْلُ الــفَرَاشِ غَشِيْنَ نــارَ الْمُصْطَلِى.

* (**حكما قريش** : بنو هاشم وبنو عبد مناف / **بنو طهية** : يعنى قبيلة الفرزدق من تميم ؛ فمنها مجاشع ، ونهشل التى دعاه للانتساب إليها / **بنو خضاف** : هم بنو مجاشع / **يعدلون** : يتساوون مع / **يعوذ بخاله** : يلجأ إليه ، وذلك حين افتخر به / **القرمل** : واحدته قرملة ؛ شجر ضعيف لاشوك فيه / **منقل** : متحول / **بنو وقبان** : بنو مجاشع / **حلومهم** : عقولهم / **الفياش** : الفخر والزهو

والمباهاة/ **المصطلى** : المستدفئ بالنار / **وغشيان النار** : الوقوع فيها) .

** يستعير جرير في بداية هذه الفقرة شطرة كاملة من قصيدة الفرزدق ، وهو عمل مسموح به في مجال النقض ،يدفعنا -نحن المستمعين - بطريقة تلقائية إلى الموازنة بينه وبين البيت الموازى له . ولعل جريراً لم يوفق فى اللحاق بخصمه فى الشطر الثانى ؛ فجاهلهم -وإن فاق فعال الجهل - لايزال فى إطار البشرية لم يخرج عنها ، أما الفرزدق فقد جعل قومه فى جهلهم وسطوتهم كالجن ، وأين قدرة البشر مهما بلغت من قدرة الجان ؟! ومثل هذا الصنيع نجده مرة أخرى فى البيت الثالث عشر ؛ فقد أخذ الشطرة الأولى كاملة - وكما هى- ولما أراد أن يتم البيت قصر عن خصمه ، فأين قوله (بيتاً علاك فما له من منقل) من قول الفرزدق (بيتاً دعائمه أعز وأطول) ؟!

وفى الحق أن جريراً لايلحق الفرزدق ولايجاريه - كما ذكرت - فى الفخر ، لكنه - وهذا رأيى الخاص - يتفوق عليه كثيراً فى الهجاء. وانظر إلى تلك الصور الساخرة التى ملأ بها اللوحة وتحقق معى من هذا الرأي ، ولاعليك مما كان يملأ به شعره من الإقذاع والمبالغة فى الشتم والإسفاف ،وإن كان لهذا كله اعتبار فى تغليب

الجمهور لأحد الخصمين - ووضع الجمهور فى الاعتبار عند دراسة النقائض فى العصر الأموى أمر لامفر منه على الإطلاق - خاصة وأنهما يتهاجيان.

فالفرزدق - كما رأينا من قبل - لايكتفى بالفخر بأجداده من جهة الأب ، وإنما يعرج إلى الأخوال ؛ ليثبت أنه مُعِمٌّ مُخْوِلٌ،ويتحدى جريراً بأن يأتيه بخال مثل خاله حبيش؛ الذى غصب الملوك نفوسهم، وفرض الإتاوة على الغساسنة . لكن من هذا الخال ؟ ! ومن ضبة كلها - فى رأى جرير - وقد قتلوا أباه ؟! فأحرى بالفرزدق أن يهجوهم ، لا أن يفخر بهم كما فعل .

إنه إذ يفخر بهذا الخال مثل الذليل الذى لم يجد فى عشيرته من جهة الأب مفتخراً فعدل عنهم إلى الأخوال ، وهؤلاء الأخوال ليسوا - فى تصوره - بأعز من آبائه ، فهو الضعيف يحتمى بضعيف مثله ، أو «ذليل عاذ بقرملة» ، كما جاء فى أمثالهم . ولكى أقرب لك تلك الصورة بإيحائها أعرض على مخيلتك صورة أخرى لغريق يحاول النجاة من الغرق فلايجد أمامه غير قشة يمسك بها ، فنفعها له كنفع القرمل للفرزدق إذ يحتمى به أو يلجأ إليه .

وحلومهم تلك التى طالما افتخر الفرزدق بها وجعلها تزن الجبال ، لاتزن فى رأى جرير حبة خردل ، وهى حبة صغيرة جداً ، لذلك ناسب أن يذكر من ألقابهم هنا بنى وقبان دون غيره من الألقاب ؛ فهو يدل على الحمق والدناءة معاً . وانظر إلى الحلوم وهى تخف ، ثم انظر إليهم - وهو الدليل يقدمه جرير على خفة أحلامهم - وهم يتساقطون فى ناره ؛ الواحد تلو الآخر ، كما يتساقط الفراش فى النار يحسبها ضوءا ؛ فالفراش لايستطيع التمييز بين النور والنار ، وكذلك هؤلاء -وقد أزرى الغرور بأحلامهم- لم يستطيعوا التمييز بينه وبين غيره من الشعراء ،فوقعوا فيه ،فكانت العثرة التى لامقيل منها . ثم انظر إليه ، وكأنه هو ذلك الهادئ المطمئن ؛ أعنى المستدفئ بالنار .

وقبل تلك الصور جميعاً - ومن منطلق عدم الاكتفاء برده هو على خصمه - يطلب جرير من الفرزدق - ولعله أنصفه فى هذا - الاحتكام إلى فرعى قريش ؛ بنى هاشم وبنى عبد مناف ، فى المفاضلة بين فرعيهما . لكنه لم ينصفه حين تعجل واثقاً بإصدار الحكم لصالحه ، مدعياً أن بنى طهية وبنى خضاف لايعدلون فوارسه من يربوع ،فما جدوى الاحتكام إذن إن سَبَّقَهَ وسَبَّقْنَا معه بالحكم ؟

*** قوله (**ارجع إلـى . . .**) إنصاف ، وهو يوحى بثقة الشاعر أن حكم هذين الحكمين لن يتخطاه ، لذلك جاء الاستـفهام فى البيت الحادى عشر حاملاً معنى الإنكار والنفى و(**إذ . .** .) تحديد . و(**بيتاً**) نكرة تفيد التعظيم . و(**فما يزنون. .** .) نتيجة ،وصيغة المضارع توحى بالاستمرار ،و(**غـشين نار المصطلى**) تفـصيل فى المشـبـه به يبين من خلاله وجه الشبه ، والإبلاغ فى البيـتين الأخيرين يوحى بالاحتقار إن كان يخاطبهم مباشرة - كمـا هى الحال فى كثير من النقائض إذ كانت تلقى فى المربد - أو يـكون البـلاغ على الحقـيـقـة إن لم يكونوا قـد سمعـوها منه مباشرة ،وفى الحالين فالـتعبير يحمل فى ذاته شـيئاً من التعـالى عليهـم ،وهو ينسجم ومـا يوجهه إلـيهم وإلى شاعـرهم من هجاء.

* * * * *

وبعد :

فلعلك لاحظت معى أن النقيضتين لم تقتصرا على موضوع واحد، وإنما امتزج فيهما الفخر والهجاء . وكان جرير والفرزدق يتطرقان فى نقائض أخرى إلى المدح أحياناً وإلى الرثاء . وربما افتتح أحدهم نقيضته بالنسيب ؛ كما فعل جرير - وكان أكثرهم ولعاً بذلك ههنا - فى جزء محذوف- يمكنك متابعته فى الديوان - وهو ينسجم مع رقة طبعه ، وكان جرير يبلغ فى نسيبه درجة لايقل فيها بحال عن شعراء الغزل فى عصره ، وأُثر عنه قوله : « لولا ما شغلنى من هذه الكلاب لشببت تشبيباً تحن منه العجوز إلى شبابها كما تحن الناب إلى سقبها» . [1] ومع هذا كان يجد فى مفتتح نقائضه متنفساً للتعبير عن تلك الطبيعة أحياناً ، وبها - ربما - كان يجتذب الجماهير إليه ، ويحقق نوعاً من الغلبة الضمنية بتلك الاستمالة قبل الانشغال بالرد على الخصم ، على الرغم من أنه كان فى حياته متعففاً ، وكان الفرزدق - كما تصفه بعض الأخبار - زير نساء [2] ؛ لذا فقد روى عن الفرزدق قوله : « ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعرى ، وما أحوجنى إلى رقة شعره لما ترون » [3] .

(١) الشعر والشعراء ص ٤٧٣ .

(٢) البيان والتبيين جـ١ ص ٢٠٨ .

(٣) الشعر والشعراء ص ٤٧٣ .

ورقة طبع جرير التى صفاها الحزن وأثر فيها على نحو ما الإسلام كانت تكفل له التفوق على خصمه فى أغراض أخرى غير الغزل ؛ ومنها الرثاء - الذى نقلنا لك شيئاً منه فى المختارات - وقيل إن الفرزدق حين ماتت زوجه لم يجدوا شعراً له ينوحون به عليها ، فناحوا عليها بشعر جرير .

ولعلك لاحظت أيضاً أن المرارة التى تمتلئ بها نفس جرير كانت وراء تفوقه الملحوظ فى الهجاء ، وأنه فى أهاجيه كان عنيفاً إلى أقصى درجات العنف ، وكان ساخراً - وقد بلغ بسخريته درجة لم يبلغها إلا قلة فى عصره وقبل ذلك العصر - لذا لم يصمد له طويلاً غير قليل ممن هاجوه .

أما الفرزدق فكان يستمد من رصيد ضخم - متمثل فى شرفه ورفعة أصله وصلابة نفسه واعتداده الشديد بها - مادته فى الفخر ، وأنه فى هذا المجال لم يلحق لا من جرير ، ولا من شاعر آخر سواه، لأنه وبحق ملك الفخر .

أما فى الموضوعات التى تحتاج إلى رقة طبع فكان يقصر فيها عمن سواه . وقد لاحظ ذلك بشار من قبل ، حين قارن بينه وبين جرير ،

فقال : (كانت لجرير ضروب من الشعر لايحسنها الفرزدق . . .). [١] وأتى بالرثاء مثالاً والأخطل حين قال : (. . . وأما جرير فأشبهنا وأنسبنا ، وأما الفرزدق فأفخرنا) [٢] . ومروان بن أبى حفصة وقد صاغ حكمه شعراً فقال من أبيات :

ذَهَبَ الفَرَزْدَقُ بِالفَخَارِ وَإِنَّمَا
حُلْو الكَلامِ وَمُرُّهُ لِجَرِيْرِ [٣] .

وأياً ما كان الأمر فقد كان لكل فارس ميدانه ؛ لذا لم تجتمع الكلمة فى القديم أو الحديث على تفضيل أحد الشاعرين على صاحبه؛ تفضيلاً يشمل كل الأغراض .

والفخر والهجاء موضوعان قديمان قدم الشعر نفسه ، وجههما الإسلام حين جاء بتعاليمه ونوره وجهة خاصة ؛ حين حد من التفاخر بالأنساب ، وأكد على المسئولية الشخصية ، ونهى عن المباهاة ،ورد الناس جميعاً إلى أصل واحد لا يميز فيه أحد عن آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وحرم الإفحاش والسب والإقذاع وقذف

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٤٦٥ .
(٢) الشعر والشعراء ص ٤٧٤ .
(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٣٧٨ .

المحصنات، فعاد الأمر فى العصر الأموى إلى سيرته القديمة ، كما عادت أمور أخرى ؛ كالعصبية القبلية . وكان هذا فى تصورى - وله عوامله ودوافعه الاجتماعية والسياسية - انتكاسة خطيرة للمسار المثالى الذى رسمه الإسلام للشعر ، والنظرية التى وضعها له ووجه من خلالها الشعراء .

ومع هذا فالنقيضتان اللتان بين يديك تعكسان على نحو ما ثقافة إسلامية ، ويظهر فيهما تأثير الإسلام - وإن لم يكن بالصورة نفسها التى ظهر بها فى أغراض أخرى وعند شعراء آخرين - فى ذلك البيت الذى ضربت عليه العنكبوت بنسجها ، وهو يشير إلى قول الله عز وجل : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [1] . وفى أسماء الله وصفاته ؛ فهو (المليك) ، و(حكم السماء) ، وهو الذى (سمك السماء) ، وهو سبحانه وتعالى الذى يعز ويذل ؛ فيرفع بيت هذا ويضع من بيت ذاك . والكتاب المنزل وما قضى به . ومقتل الزبير رضى الله عنه وما أورثه لقاتليه - باعتباره أحد العشرة المبشرين بالجنة - من الخزى والعار . وغسل الحائض ، والنبوة ، وحكم قريش، والعدل باعتباره أساساً للحكم .

(١) العنكبوت من الآية ٤١ .

كمـا تعكس النقـيضتـان كذلك ثقـافة قـديمة ، أساسـها المعـرفة بالحروب والأيام وتاريخ القبائل والشعـر الجاهلى ؛ فى ذكر العشيرتين وما لهما ومـا عليهما ، وفيما كان بين حـبيش وملوك جفنة ، وسرد قـائمة بأسـمـاء الشعـراء الذين ورث عنهم الفـرزدق - فى زعمـه - الشعر؛ كـالنوابغ والمخبل وامرئ القيس والحطيئـة وأوس وغيرهم ممن آثرنا - تجنباً للتطويل - حذف الأبيات التى أوردهم فيها .

ويبدو أثر النشاط العـقلى فى بيئات المتكلمين والفقـهاء والمحدثين وأصحاب اللغة ،بالكوفة والبصرة وغيرهما ؛ فيما أظهره الرجلان من القدرة على الجدال ،ومناقشة الآراء وتفنـيدها ،وتوليد المعانى ،وعمق الأفكار وترتيبها ، والتلوين وشىء من التعقيد فى الصور والخيال .

أما أسـلوب الشاعـرين فيلخـصه قـول ابن الأخطل ،فى عبـارة موجزة، حين أرسله أبوه ليستطلع له أمرهمـا ويخبره عما يدور بينهما بالعراق :«جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر». [1] وهذا يعنى -فيما أفـهم- أن شعر جرير سهل سلس عذب يسـيل كما يسيل الماء دون وعـورة أو مشـقة ، وأنه يستـمد من مـعين ثر لاينضب ، فلايعتريه من ثم التكلف أو الالتواء . أما الفرزدق - وقد مر بك شىء

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٤٥١ . وينسب هذا القول فى موضع آخر (ص ٧٤) للأخطل .

عن صلابة شخصيته وخشونة طبعه وغلظته - فيعنى أكثر ما يعنى بالجزالة والفخامة والقوة ، وقد أشار غير واحد من المحدثين والقدماء إلى ما يعترى أسلوبه أحياناً من التعقيد والالتواء ، كما فى قوله :

وَمَا مِثْلُهُ فِى النَّاسِ إلاَّ مُمَلَّكاً
أَبُو أُمِّهِ حَىٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ[(١)] .

وكم من مرة راجعه أصحاب النحو ، لكنه كان يسخر من مراجعتهم له . وطالما حاروا فى تخريج قوله :

وعضُّ زَمانٍ يا ابنَ مَروانَ لم يَدَعْ
من المالِ إلاَّ مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ .

ولم يصلوا -كما يقول ابن قتيبة إلى قول مُرْضٍ فيه [(٢)] .

لكن ينبغى ألا نأخذ هذا الحكم مقياساً عاماً فى كل الأحوال ؛ فقد يرق الفرزدق حين يلتفت إلى ذاته ويعبر عن مشاعره الخاصة ويتزحزح قليلاً عن الفخر ، وقد يتخلى أسلوب جرير عن رقته

---

(١) يقول الفرزدق هذا البيت فى مدح إبراهيم بن هشام المخزومى ، خال الخليفة هشام بن عبد الملك . ومعناه : وما مثله - يعنى الممدوح وهو إبراهيم بن هشام المخزومى - فى الناس حىٌّ يقاربه إلا مملكاً ، أبو أمه أبوه . يريد إلا ملكاً ؛ هو الخليفة هشام بن عبد الملك ، الذى يشترك معه فى الجد ؛ فهو ابن أخته .

(٢) الشعر والشعراء ص ٨٩ .

وسلاسته فى بعض الأحيان ، خصوصاً حين يجارى خصمه فى الفخر، فلنحترز قدر الإمكان من التعميم .

ويعتقد علماء اللغة - كما يقول جرجى زيدان - أن شعر الفرزدق يحوى كثيراً من أساليب العرب وألفاظهم [1] ، حتى قيل - وهو مأثور عن يونس بن حبيب - لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب [2] . ونظراً لما فيه من ذكر للوقائع والأيام ومثالب بعض القبائل ومفاخرها قيل كذلك : لولا شعره لذهب نصف أخبار الناس.

وتبقى النقائض - بعد هذا كله - وثيقة أدبية هامة ، من أهم وثائق العصر الأموى ، تحمل دلالات تاريخية واجتماعية وسياسية شتى ، ويبقى لهذين الشاعرين مكانهما المتميز فى قمة هذا الفن .

*****

(١) تاريخ آداب اللغة العربية - راجعه وعلق عليه د . شوقى ضيف (دار الهلال ، القاهرة ، بدون تاريخ) جـ١ ص ٢٥٧ .

(٢) الأغانى جـ ١٩ ص ٤٨ .

هـ - مختارات من شعره :

١ - يقول جرير فى رثاء زوجه خالدة :

لولا الحـيـاء لعـادنى اسـتـعـبـار
ولزرت قـبـرك والحـبـيـب يزار

ولـقـد نظـرت ومـا تمتـع نظـرة
فى الـلـحـد حـيـث تمـكن المحـفـار

ولهـت قلـبى إذ عـلـتـنى كـبـرة
وذوو التـمـائـم من بنـيك صـغـار

ولقـد أراك كـسـيـت أجـمل مـنظر
ومع الجـمـال سكـينـة ووقـار

صلـى الملائـكة الـذين تـخـيـروا
والـصـالحـون علـيك والأبـرار.

* * * * *

٢ - ويقول متغزلاً :

حى المـنازل إذ لا نبـــتـــغـى بدلا

بالـدار داراً ولا الجـيــران جـيـــرانا

مـــا كنت أول مـــشـــتـــاق أخـــا طرب

هاجـت له غـــدوات البـين أحـــزانا

لقـد كـتـمت الهـوى حتى تهـيـمنى

لا أسـتطيـع لهـذا الحب كـتـمـانا

إن العـيـون التى فى طرفـهـا حـور

قـتلنـنا ثم لـم يحـيين قـتـلانا

يصـرعن ذا اللـب حـتى لاحـراك به

وهن أضـعف خلـق الله أركـانا .

* * * * *

٣ - وله أيضاً فى هجاء الراعى النميرى :

أعـــد الـله للشـــعـــراء مـنى

صـــواعق يخـضـعـون لـهـا الرقـابا

قـــرنت العـــبـــد عـــبـــد بنى نميـــر

مع الـقـــيـنين إذ غلـبـــا وخـــابا

لبـــئس الكســب تكســبـــه نميـــر

إذا اســـتـــأنـوك وانـتـظروا الإيـابا

فـــغـض الطرف إنـك من نمـيـــر

فـــلا كـــعـــبـــاً بلـغت ولا كــلابا.

* * * * *

مالك بن الريب

أ - ملامح من حياته وفنه :

لانكاد نعلم شيئاً كثيراً عن حياة مالك بن الريب ؛ فالمصادر التى تناولته كانت تكتفى بخطوط عامة ، تتكرر غالباً من مصدر إلى آخر ، وأكثرها ينصب على صعلكته ثم توبته على يد سعيد بن عثمان بن عفان ، واصطحاب هذا الأمير له إلى خراسان ، ووفاته مغترباً عن أهله ، وقصيدته - التى نعرض عليك شيئاً منها - وهى من أروع ما قيل فى رثاء النفس .

ومالك ينتمى إلى بطن من بطون تميم ؛ فهو من بنى مازن - مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم - وأمه شهيلة بنت سنيح ، مازنية كذلك .

يكنى بأبى عقبة ، عاش فى أوائل العصر الأموى فى عهد معاوية ابن أبى سفيان «وكان فاتكاً لصاً يصيب الطريق مع شظاظ الضبى الذى يُضرب به المثل فيقال ألص من شظاظ» [1] ، وأبى حردبة المازنى ،

---

(١) الشعر والشعراء ص ٣٦٠ .

وفيه وفى مالك يقول أحد الرجاز : إن الله نجاه من . . .

وَمِنْ أَبِى حَرْدَبَةَ الأَثِيْمِ

وَمَالِكٍ وَسَيْفِهِ المَسْمُومِ . [١]

وواضح أنه يشير إلى شدة فتكهما ، وما اتصف به سيف مالك على وجه الخصوص من الشراسة ، حتى لتصير النجاة منهما نعمة يعددها فيما يعدد من نعم الله عليه .

وكان مالك «يتحدى حتى منافسيه فى قطع الطريق ، ومن شهرة قوته أنه قتل أفلح الذى ظل يقطع الطريق على القوافل وحده بخراسان عشرين سنة» [٢] . وبلغ من جرأته وشدة بأسه وتمرده أن توعد بنى مروان وهجا الحجاج بن يوسف الثقفى هجاء مؤلماً - فى القطعة التى نقلناها لك ضمن المختار من شعره - وكان الولاة يطلبونه فيجد فى الصحراء متسعاً أو «مزاحاً ومزحلاً» على حد تعبيره للإفلات منهم فلا يقدرون عليه .

---

(١) معجم ما استعجم للبكرى جـ ٣ ص ١٠٢٧ .

(٢) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه - د . عبد الحليم حفنى ص ١٢٦ .

وكان يمارس نشاطه فى بادية البصرة - موطنه - ثم نقله بعد ذلك إلى فارس، بعد أن تمكنت السلطات من القبض عليه واستطاع الفرار. وهناك التقى به سعيد بن عثمان بن عفان فى طريقه إلى خراسان والياً عليها من قِبَلِ معاوية ، فقال له : ويحك يامالك ، ما الذى يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العداء وقطع الطريق ؟ قال : أصلح الله الأمير، العجز عن مكافأة الإخوان ، ومساواة ذوى المروءات . قال : فإن أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل وتتبعنى ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ، أكف كأحسن ما كف أحد . فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار - وفى رواية بكتاب الأغانى خمسمائة درهم - فى كل شهر . واستقامت له الأمور على هذه الحال ، ووجهت طاقته - وكانت بحق طاقة جبارة- إلى الجهاد فى سبيل الله ، وضُمَّ - من ثم - إلى جيوش الفاتحين .

وتبدأ فى خراسان صفحة جديدة من حياة الشاعر ، يُطوى فيها الماضى بأوزاره ومساويه . ويذكر الزركلى أنه قد تنسك هناك [1] .

(١) الأعلام - ط ٣ (بيروت سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) جـ٦ ص ١٣٤ .

بينما يذهب الدكتور صالح اليظى إلى أنه «بقى ابن دنياه المخلص لها» وأن خروجه مع سعيد «لم يكن طلباً للجهاد بقدر ما كان طلباً للمال وغنائم الفتح» [1] . ويستشهد ببيت من اليائية - يشك هو نفسه فيه - نصه :

إِنِ اللَّهُ يُرْجِعْنِى مِنَ الغَزْوِ لا أُرَى
وَإِنْ قَلَّ مَالِى طَالِباً مَا وَرَائِيَا .

ويفسره محقق الديوان بقوله : « يريد : لا أسافر وأقيم وأقنع بما عندى » . ثم يقول بصدد البيت وتفسير الشارح له : «ولو افترضنا أن البيت موضوع ، وهو كذلك على الأرجح ؛ لعدم وروده فى الجمهرة التى نطمئن إليها وإلى صاحبها ، فإن دلالته على دوافع مالك وتياراته النفسية تبقى قائمة ؛ لأن واضعى الشعر غالباً ما يعولون على ملابسات حياة الشاعر وما أثر فى إبداعه كى يكون وضعهم أقرب إلى النص الأصلى الذى يضيفون إليه ، أما إذا كان البيت لمالك بالفعل ، فإنه يحسم القضية حسماً نصياً لا شبهة فيه» [2] .

(١) فن الرثاء ويائية مالك بن الريب فى رثاء نفسه (مقال منشور بمجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية - م ٣٥ سنة ١٩٨٧م) ص ٢٢ .

(٢) فن الرثاء ويائية مالك بن الريب ص ٢٢ .

ويدعم رأيه كذلك برواية ياقوت فى اصطحاب سعيد له ، وهى كما جاءت فى معجم البلدان : «فمر بأبى حردبة الأثيم ، ومالك بن الريب ، وكانا لصين يقطعان الطريق ، فاستصحبهما ، فصحبه مالك ابن الريب المازنى ما شاء الله ، فلم ينل مما وعده شيئاً ، وأتبع ذلك بجفوة ، فترك سعيداً وقفل راجعاً ، فلما كان بأبر شهر ، وهى نيسابور، مرض ، فقيل له : أى شىء تشتهى ؟ فقال أشتهى أن أنام بين الغضا وأسمع حنينه ، أو أرى سهيلاً ، وأخذ يرثى نفسه وقال قصيدة جيدة مشهورة » [1] .

وقد يكون الحرص على الغنائم دافعاً رئيساً وراء خروج مالك مع سعيد إلى خراسان ،وقد كان كما نفهم من اتجاهه نحو الصعلكة وممارسته للسرقة والنهب - وقد تعرض ذات مرة للحبس بمكة فى سرقة وشفع فيه شماس بن عقبة المازنى فاستنقذه من السجن [2] - فقيراً ، شأنه فى هذا شأن سائر الصعاليك فى الجاهلية والإسلام ،

(١) معجم البلدان (دار صادر ودار بيروت - بيروت سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م) جـ١ ص ٦٥ (أبر شهر) . وانظر تحليل الدكتور صالح اليظى للأبيات من رقم ٣٣ إلى آخر القصيدة بالمقال المذكور «فن الرثاء ويائية مالك بن الريب» ص ٤٣ : ٥٠ .

(٢) الشعر والشعراء ص ٣٦٠ .

وماذا يضير الفقير إن حرص على المال طالما كان هذا من مصدر شريف يلوح له به أحد ولاة الأمـر ، ولا يكتفى بالتلويح بل يهيئـه له ويعينه عليه ، وطالما أن هذا المال سـوف يغنيه عن الحـرام ، ويكفل له وقد مضى من العمر شطره - بل أكثره - أن يتوب ويعود إلى الله ؟

غير أن هذا الحرص -- ومع تقـديرنا لرأى الدكتور صالح اليظى - لايحول فى تصـورنا واتجاه مالك فى خـراسان نحو حيـاة جديدة ، تختلف - لاشك- عن حياته الأولـى فى بادية البصرة ؛ لا من حيث التوبة فـحسب - وهى فضل من الله عظيم - وإنما من حيـث توجهه إلى الجهاد فى سبيل الـله ، وهو الدليل الملموس يقدمه - والله أعلم بالنيات - شاهداً على صدق توبته ، وليكفر بهـذا الجهاد عما كان منه من قبل . ولعل هذا هو مـا يعنيه الزركلى بالنسك ،لا ما يتـبادر إلى الذهن من الخلوة والانقطاع ، ويؤيده على هذا الفهم -ويؤيدنا معه - شواهد كثيرة .

ولماذا نعتمد رواية ياقوت وحده ونغـفل سائر الروايات ، وبعضها يذكر أن الأمير قد وفى له بما وعد وأجرى عليه راتباً كبيراً،وأن الشاعر قد أبلى فى جيوش الفتح بلاء حسناً ، وأن الصحبة بين الرجلين ظلت

قائمة حتى عزل معاوية سعيداً ، فعاد إلى المدينة ، وعاد معه مالك ، وفى الطريق أصابه المرض ، عند موضع يقـال له الطبسان - وقيل بل لدغتـه حية كـانت مختـبئة فى خـفه - فرثـى نفسه - وقـد تيقن من الموت- رثاء حاراً ؟ !

وفى الحق أن الروايات اختلفت اختلافاً بيناً فى قصة موته ؛ فعلى حين يذكر بعضهم أنه مـات بسبب مرض - دون تحديد له - وهو فى طريق عـودته أو أن حية لـدغته ، تذكـر روايات أخرى أن طعـنة قد أصابته فسقط على أثرها قتيلاً بخراسان ، أو ظل مثخناً بجراحه حتى وافته المنية فى الطريق .

ويرجح أكثر الباحثين أن وفاته كانت أثناء العودة ، ولايعنينا سببها على وجه التحديد ، وإن كنا نميل إلى الرواية التى تشير إلى مرضه أكثر من غيـرها ؛ ففى المرض متسع من الوقت يتمثل فيه مـاضيه وما هو فيه وما سوف يؤول إليه ، ويصوغ هذا كله شعراً فى قصيدة دقيقة محكمة ، فريدة فى بابها ، طويلة - على الرغم مما يعترى طولها من شك - فيها غير قليل من التأمل والاسـتغراق ، وهو ما لايتوفر بحال مع الطعنة النافذة أو حتى لدغ الحيات ، اللهم إلا أن تكون الطعنة غير

نافذة ، فاندمل الجرح ثم اعتل عليه بعد فترة ، أو يكون السم - وهو نادر جداً - بطيء الانتشار .

لكن على أية حال - ودونما ترجيح لرواية على أخرى بالعقل وحده - فقد صاغ مالك قصيدته التى بين يديك - وهو ما لاتختلف عليه الروايات - فى أيامه الأخيرة ، مغترباً عن وطنه وعشيرته وذويه .

وتبقى بعد مشكلة تتعلق بطول القصيدة ، وقد ألمحنا إلى ما يعترى هذا الطول من شك ؛ فهى تصل فى بعض المصادر إلى ستين بيتاً ، وتزيد فى بعضها عن الستين ، وقد صرح أبو عبيدة أن ما قاله مالك « ثلاثة عشر بيتاً ، والباقى منحول ولده الناس عليه» . [١]

ويبدو - كما يشير محقق ديوانه - أن اختلاطاً وقع بين قصيدة عبد يغوث بن وقاص وأفنون الثعلبى وجعفر بن علبة الحارثى وقصيدة مالك هذه ؛ للتشابه فى الوزن والقافية والغرض ، وتضارع بعض المعانى والصور والأفكار [٢] . وهو ما يدفعنا إلى الحيطة والحذر ،

---

(١) الأغانى (ط . الشعب) جـ ٢٦ ص ٩٠٣٩ .

(٢) ديوان مالك بن الريب - ت . د . نورى حمودى القيسى (مجلة معهد المخطوطات بالجامعة العربية - م ١٥ جـ ١ سنة ١٩٦٩م) ص ٦٤ .

ويجعل من الضرورة بمكان الاعتماد على مصدر موثوق به ،والاكتفاء بالروايات الصحيحة دون غيرها . وسوف نأنس قدر الإمكان - ونحن نحلل جزءاً واحداً منها لا القصيدة كلها - بما رواه أبو على القالى فى أماليه ،ونقله عنه البغدادى فى خزانته ،وتكرر فى الوقت نفسه فى كتب أخرى كالجمهرة .

ب - مصادر ترجمته وشعره :

ترجمته : الأعلام للزركلى جـ ٦ ص ١٣٤ / الأغانى (ط. الشعب) جـ ٢٦ ص ٩٠١٨ / الأمالى لأبى على القالى جـ ٣ (الذيل) ص ١٣٥ / تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين م٢ جـ ٣ ص ١٤٠ / تاريخ الطبرى جـ ٢ ص ١٧٨ / جمهرة النسب للكلبى (ترتيب كاسكل) جـ٢ ص ٣٩٣ / خزانة الأدب للبغدادى جـ ١ ص ٣١٧ / سمط اللآلى ص ٤١٨ وذيله ص ٦٤ / الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ ١ ص ٣٦٠ / شواهد المغنى ص ٢١٥ / معجم الشعراء للمرزبانى ص ٣٦٤ / المكاثرة للطيالسى ص ٤٣ .

شعره : أما شعره - أو بالأحرى ما تبقى منه - فقد جمعه الدكتور نورى حمودى القيسى ونشره تحت عنوان « ديوان مالك بن الريب - حياته وشعره» مع مقدمة له فى مجلة معهد المخطوطات بالجامعة العربية المجلد رقم ١٥ جـ ١ سنة ١٩٦٩م. وجمعه التلبانى كذلك فى بحث نشره تحت عنوان «دراسة عن الشاعر الأموى مالك ابن الريب» .

وأشار سزكين إلى أن الديوان الأصلى لمالك نقله أبو على القالى فى القرن الرابع الهجرى إلى الأندلس . ولم يصل إلينا هذا الديوان حتى الآن .

جـ - النص :

يقول مالك بن الريب :

١ - أَلا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً

بِجَنْبِ الـغَضَا أُزْجِى الـقِلاصَ الـنَّوَاجِيَا

٢ - فَلَيْتَ الـغَضَا لَمْ يَقْطَعِ الـرَّكْبُ عَرْضَهُ

وَلَيْتَ الـغَضَا مَاشَى الـرِّكَابَ لَيَالِيَا

٣ - لَقَدْ كَانَ فِى أَهْلِ الـغَضَا لَوْ دَنَا الـغَضَا

مَزَارٌ وَلَـكِـنَّ الـغَضَا لَيْسَ دَانِيَا

٤ - أَلَمْ تَرَنِى بِعْتُ الـضَّلالَةَ بِالـهُدَى

وَأَصْبَحْتُ فِى جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا

٥ - دَعَانِى الـهَوَى مِنْ أَهْلِ وُدِّى وَصُحْبَتِى

بِذِى الـطَّبَسَيْنِ فَالْتَفَتُّ وَرَائِيَا

٦ - أَجَبْتُ الـهَوَى لَمَّا دَعَانِى بِزَفْرَةٍ

تَقَنَّعْتُ مِنْهَا أَنْ أُلامَ رِدَائِيَا

٧ - لَعَمْرِى لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِى

لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَىْ خُرَاسَانَ نَائِيَا

٨ - فَلِلَّهِ دَرِّى يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعاً

بَنِىَّ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا

٩ - وَدَرُّ الظِّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً

يُخَبِّرْنَ أَنِّى هَالِكٌ مِنْ وَرَائِيَا

١٠ - تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِى عَلَىَّ فَلَمْ أَجِدْ

سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرُّدَيْنِىِّ بَاكِيَا

١١ - وَأَشْقَرَ خِنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ

إِلَى المَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الدَّهْرُ سَاقِيَا

١٢ - صَرِيعٌ عَلَى أَيْدِى الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ

يُسَوُّونَ لَحْدِى حَيْثُ حُمَّ قَضَائِيَا

١٣ - وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيَّتِى

وَحَلَّ بِهَا سُقْمِى وَحَانَتْ وَفَاتِيَا

١٤ - أَقُولُ لأَصْحَابِى ارْفَعُونِى فَإِنَّنِى

يَقَرُّ بِعَيْنِى أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا

١٥ - يَا صَاحِبَىْ رَحْلِى دَنَا المَوْتُ فَانْزِلا

بِرَابِيَةٍ إِنِّى مُقِيمٌ لَيَالِيَا

١٦ - أَقِيمَا عَلَىَّ الـيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ

وَلاَ تُعْجِلانِى قَدْ تَبَيَّنَ مَا بِيَا

١٧ - وَقُومَا إِذَا مَا اسْتُلَّ رُوحِى فَهَيِّئَا

لِىَ الـسِّدْرَ وَالأَكْفَانَ ثُمَّ ابْكِيَا لِيَا

١٨ - وَلاَ تَحْسُدَانِى بَارَكَ الـلَّـهُ فِيكُمَا

مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الـعَرْضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا

١٩ - وَخُطَّا بِأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعِى

وَرُدَّا عَلَى عَيْنَىَّ فَضْلَ رِدَائِيَا

٢٠ - خُذَانِى فَجُرَّانِى بِبُرْدِى إِلَيْكُمَا

فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الـيَوْمِ صَعْبـاً قِيَادِيَا

٢١ - يَقُولُونَ لاَ تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِى

وَأَيْنَ مَكَانُ الـــــبُعْدِ إِلاَّ مَكَانِيَا

٢٢ - غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِى عَلَى غَدٍ

إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّى وَخُلِّفْتُ ثَاوِيَا

٢٣ - فَيَا رَاكِبــــاً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ

بَنِى مَالِكٍ والـــــرَّيْبِ أَلاَّ تَلاقِيَا

٢٤ - وَأَبْلِغْ أَخِى عِمْرَانَ بُرْدِى وَمِئْزَرِى

وَبَلِّغْ عَجُوزِى الـــــيَوْمَ أَلاَّ تَدَانِيَا

٢٥ - وَعَطِّلْ قَلُوصِى فِى الــــرِّكَابِ فَإِنَّهَا

سَتُبْرِدُ أَكْبَاداً وَتُبْكِى الـــــبَوَاكِيَا .

* * * * *

د – تحليل :

الأبيات ١ – ٦ :

١ – أَلا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً
بِجَنْبِ الغَضَا أُزْجِى القِلاصَ النَّوَاجِيَا

٢ – فَلَيْتَ الغضا لَمْ يَقْطَعِ الرَّكْبُ عَرْضَهُ
وَلَيْتَ الغَضَا مَاشَى الرِّكَابَ لَيَالِيَا

٣ – لَقَدْ كَانَ فِى أَهْلِ الغَضَا لَوْ دَنَا الغضا
مَزَارٌ وَلَكِنَّ الغَضَا لَيْسَ دَانِيَا

٤ – أَلَمْ تَرَنِى بِعْتُ الضَّلالَةَ بِالهُدَى
وَأَصْبَحْتُ فِى جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا

٥ – دَعَانِى الهَوَى مِنْ أَهْلِ وُدِّى وَصُحْبَتِى
بِذِى الطَّبَسَيْنِ فَالْتَفَتُّ وَرَائِيَا

٦ – أَجَبْتُ الهَوَى لَمَّا دَعَانِى بِزَفْرَةٍ
تَقَنَّعْتُ مِنْهَا أَنْ أُلامَ رِدَائِيَا

* **(ليت شعرى** : ليتنى أعلم . جواب ليت محذوف تقديره موجود أو كائن . يعقبها دائماً استفهام / **الغضا** : شجر ينبت فى الصحراء له هدب كهدب الأرطى . وقد أراد به المكان الذى يكثر فيه ويعرف به، وهو موطنه فى البادية . وقد رُسِمَ فى بعض المصادر هكذا (الغضى) بالياء . قال ثعلب - وقد نقله عنه صاحب اللسان - «يكتب بالألف» ./ **أزجى** : أدفع وأسوق / **القلاص** : مفردها قلوص وهى الفتية من الإبل / **والنواجى** : السريعة ، مفردها ناجية/ **الركاب** : الإبل ، مركوبة أو محملة / **دنا** : اقترب / **مزار** : اسم مكان على وزن مَفْعَل ، من الفعل زار / **ذو الطبسين** : مكان بخراسان ، والطبسان: كورتان سمى بهما ، ويروى: « دعانى الهوى من أهل أود . . . » بدلاً من (ودى) ، وأود مكان بالبادية) .

* * يبدأ مالك قصيدته بهذا الشوق الذبيح ، ليبيت ولو ليلة -وهو الغريب المحتضر الذى تيقن أن الموت سوف يسبق تحقيق أمنيته - فى موطنه وبين أهله ؛ يسوق الإبل كما كان يفعل فى طفولته وشبابه، ويستلقى بين شجيرات الغضا فوق الرمال ، هادئاً وادعاً ناعم

البـال ، يتشـرب وطنه ودياره وملعـب صبـاه ، قطرة قطرة ، بظمـأ المغترب المشتـاق . لكن الأمنية مستحيلة ، أو هى أشبـه بالمستحيل ، تماماً مـثل تلك الأمنيات التى تتـوارد على خاطره فى البـيت الثانى ، وفيه شعور طاغ بالندم على سفره الذى اختاره بمحض إرادته ولم يجبر عليـه . فليت الركب لم يتـجاوز الغـضا ، وليت الغـضا إذ سـارت الركاب سايرها فظلا معاً دونما انفصال .

ثم لا يلبـث أن يفـيق فى الـبـيت الثـالث من تلك الأمنـيـات المستـحيلة، لقـد كان من الممكن أن يزور أهل الغـضا لو كان الغـضا قريباً، لكن الغضا بعيد ، فكيف له بتلك الزيارة ؟ وشأن العاجز الذى لايملك من أمره شـيئاً وتقطعت به الأسـباب لايجد مـالك إلا الدموع والزفـرات يجيب بهـا داعى الهـوى ، وإلا الالتفـات وراءه عله يرى بوجدانه وقلبه ما عجزت عيناه عن أن تراه ، وليُخفى عن سائر العيون المحيطة به دموعه وزفراته وأنينه ؛ فلا ينبغى أن يروه - وهو الفارس - على تلك الحال .

ويشير مالك - إشارة سريعـة - فى البيت الرابع إلى انضمامه إلى جيش سعـيد بن عثمان بن عـفان بخراسان ؛ غازيـاً فى سبيل الله،

ومجاهداً من أجل نشـر دينه وإعلاء كلمته ، وهو فـخر له . لكن ما علاقة هذا الفـخر بما هو فيه أو بصدد الحـديث عنه ؟ قد يبدو للوهلة الأولى أن البيت منقطع عن غيره من الأبيـات ، سواء قبله أو بعده ، لكنه فى الحـقيقـة يجىء - أو هكذا نراه - معـبراً عن قلق عـميق ، يعتـرى الشاعر فى بداية الـقصيدة ؛ فـلحظةً ينساق وراء شعـور عام بالانكسار وما يعقبه من تسليم أو يأس ، فـيرى - وقد عرضته رحلته للموت غـريباً منفرداً بعـيداً - أنه قد غبن ، وأن بيـعته - كمـا يقول البحترى (بَيْعَةُ وَكْسٍ) . ولحظةً يستيقظ العقل ،ويتأجج بريق الإيمان فى قلبه ، فيصدر عنه مثل هذا البيت معتزاً بما قد صنع ؛ فهو لايفخر من أجل الفخر فى ذاته ، وإنما ليواجه هزيمة النفس ، وليشد قدر الإمكان من أزرها .

*** فإذا عدت إلى الأبيات وجدت «**ألا**» فى بدايتها ، وهى أداة استفتاح طالما افتتحوا بها مراثيهم ، وجاراهم مالك - على الرغم من أنه لايرثى مـيتـاً وإنما يرثى نفـسه حـياً - فى هذا الشـأن . وتكررت «**ليت**» - وهى تدل على الاستحالة أو الأشياء التى يصعب تحقيقها -

ثلاث مرات ؛ فتكرار ليلة من ليالى زمنه القديم فى المكان الذى يحلم بالوصول إليه مستحيل ، وعدم حـدوث ما حدث مستحيل آخر يجىء فى جملتين ؛ «**ليت الغضا لم يـقطع الركب عرضه**» و «**ليت الغضا ماشى الركاب لياليا**» . فقـد قطعه الركب بالفعل ، وليت الغـضا إذ قطعه الركب كان ماشاه ولم يتركه أو ينفك عنه .

وتجىء «**لو**» لتضـاعف إحساسنا بهـذا الجدار من المستحـيلات ، القائم بينه وبين رغباته ، أو تحقيق ما يريد ، وهو قاب قوسين أو أدنى من لقاء الموت. والمستحيل هذه المرة رؤية الأهل ، أو حتى الإلمام بهم إلمام زائر، وهو ما يؤكده الاستدراك بـ «**لكن**» فى بداية الشطرة الثانية.

وانظر إلى الفاء فى جـواب الأمر « **فالتفت**» وتأمل لماذا اختارها دون غيرها من أدوات العطف ؛ فكأنه بمجـرد أن دعاه الهوى - يعنى الشوق والحنين لأهل وده وصحابته - لبى الدعوة على الفور ، أو فى «**لاوقت**» إن جاز التعبـير ، وتلك السرعة فى الاستجابة نلمـسها مرة أخرى فى تقديم «**أجبت الهوى**» على «**لما دعانى**» ، والأصل : لـما دعانى الهـوى أجبت ، وجاءت «**زفرة**» نكرة ، لا للتقليل من شـأنها وإنما للتهويل والتعظيم .

والصور فى المقطع قليلة ، لكنهـا على قلتها صادقـة ومؤثرة إلى حد بعيـد ؛ ومنها التجـسيد فى «**دعانى الهوى**» ، وكذا فى ممـاشاة الغضا للركاب ، والتجسيم فى «**بعث الضلالة بالهدى**» .

وانظر إليه وهو يتقنع بالرداء - وهى صورة لفظية لم يستخدم فيها أى لون من ألوان الخيال المدرجة فى أبواب البلاغة القديمة - خشية أن يراه رفـاق الطريق ، فـيـرمـيـه بعـضـهـم من ذوى القلـوب الغليظة بالضعف، أو يشبهه - وهو الفارس - بالأطفال أو النساء ، فهو يستر دمعته ، ويوارى أنته وزفرته ، محصوراً كما ترى بين فكين ؛ أحدهما يستـثيره ولايزال يحركـه ويدفعه نحو البكاء ؛ وهو الهـوى الجارف ، والآخر تلك الـعيون المحـيطة به والمصوبة دومـاً إليه ، ومـراعاة تلك العيـون يستوجب عليه أن يـكف عن البكاء ، أو لايبكى أصلاً ؛ إذ كيـف يبكى الرجال ؟ فـيأتى التـصرف عـفوياً - وهو على عـفويـته وبساطته مؤثر غاية التأثير - يلتفت إلى الوراء مرة ، ويتقنع مرة أخرى بالرداء ، وتحت الرداء لاشك دمعات ، لايستطيع مهما صنع أن يحول بينها وبين الانحدار .

وصورة أخـرى يرسـمـها كـذلك فى البيت الأول ؛ صـورته وهو يزجى القـلاص وسط شجيـرات الغضـا ، مع ما تحمله تلك الـكلمة البسـيطة - كلمة «**غضا**» - من رمـوز وإيحاءات ؛ إنهـا تعـادل ههنا البادية بكل ما فيها ، ليس فقط من ناحية المكان وما يحوى داخله من أرض وسمـاء ونجوم وسحاب وإنس وحـيوان رطير ونبات وغـيرها ، وإنما أيضاً من ناحية الزمان ؛ زمان طفـولته و . . ه ؛ فهو يحن بحنينه إلى الغضا إلى الاثنين مـعاً ، وكلاهما مسـتحيل بالنسبـه لشخص قد حُكِمَ عليه بالإعدام ، وينتظر بين لحظة وأخرى تنفيذ الحكم .

ولعلك لاحظت الاستفهام « **هل**» وما يحمله بين طياته من شوق جـارف عمـيق لايلبث أن يخـتنق على صـخـرة الواقع حين لايكون الجـواب إلا بالنفى ، وتؤكـد النون فى «**أبيتن**» هذا الشـوق ، وتأتى «**ليلة**» هكذا نكرة ، لـلتـقليل ؛ فـهـو لا يطمع إلا فـى ليلة واحـدة فحسب يبيت فيها بجنـب الغضا ، بين أذرع أمه وأبيه وزوجه وأخوته وبنيه، ثم يموت بعدها قرير العين .

ويتصاعد إحساسه بالغضا فى الأبيات الثلاثة الأولى ، كلما انتقل

من بيت إلى بيت ؛ فهو يذكـره مرة واحدة فى البيت الأول ، ثم فى الثـانى يذكـره مرتين ، ثم ثلاث مـرات فى البـيت الثـالث ، ليكون المجمـوع سبع مرات فى مـدخل القصيـدة وحده ، وهو ما يعـبر عن كثافة إحساسه بذلك المكان ، وكـيف أخذ بمجامع نفسه فلم يعد يرى - وهو فى إسار الحنين إليه- شيئاً سواه . ويظل هذا الإحساس يتوغل كلما توغل الشـاعر وتوغلنا معـه داخل القصيـدة . فإلى مجمـوعة أخرى من الأبيات .

*****

الأبيات ٧ - ١٢ :

٧ - لـــــعَمْرِى لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِى

لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَىْ خُرَاسَانَ نَائِيَا

٨ - فَلِلَّهِ دَرِّى يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعـــــــــاً

بَنِىَّ بِأَعْلَى الــــــــــــرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا

٩ - وَدَرُّ الـــظِّبَاءِ الــــسَّانِحَاتِ عَشِيَّةً

يُخَبِّرْنَ أَنِّى هَالِكٌ مِنْ وَرَائِيَا

١٠ - تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِى عَلَىَّ فَلَمْ أَجِدْ

سِوَى الــسَّيْفِ وَالـــرُّمْحِ الــرُّدَيْنِىِّ بَاكِيَا

١١ - وَأَشْقَرَ خِنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ

إِلَى المَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الـــــدَّهْرُ سَاقِيَا

١٢ - صَرِيعٌ عَلَى أَيْدِى الـــرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ

يُسَوُّونَ لَحْـــــدِى حَيْثُ حُمَّ قَضَائِيَا

* **(لعمرى** : قسم ، وفى القــرآن الكريم : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لفى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ . / **غالت** : أهلكت / **هامتى** : رأسى ، والجمع (هام) / **لله درى** : تعبير يقصــد به التعجب من النفس ، وقد يحمل - كما ههنا - معنى التقريع ،والمعنى الأصلى له ما أنا فيــه من الخير فهــو من الله ؛ فالدر : اللبن / **الرقمتان** : موضعان قرب البصرة /

السانحات : التى تجىء من اليسار إلى اليمين ، وكانت العرب تتفاءل بذلك ،ولم يصدق هذا مع شاعرنا ؛ فقد خدعته الظباء ولم تكن بالنسبة له إلا نذير شؤم ، أو يكون المقصود بالظباء السانحات النساء من أهله اللائى كن يتشاءمن من رحلته ويحذرنه من الخروج / من **ورائيا** : معناها هنا من أمامى - أى بعد الخروج - كما فى قوله تعالى ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ . / **الردينى** : نسبة إلى «رُدَيْنَة» بالتصغير ؛ امرأة كانت تُقَوِّمُ الرماح / **خنذيذ** : طويل صلب ، الجمع منها خناذيذ ، والأشقر الخنذيذ يعنى فرسه الموصوف بهاتين الصفتين / **عنانه** : لجامه / **قفرة** : القفر الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ / **لحدى** : موضع دفنى فى التراب . ويروى «قبرى» / **حُمَّ** - بالبناء للمجهول - : قُدِّرَ) .

* * تعلو فى هذا المقطع ، منذ البيت الأول فيه ، نغمة الندم على تلك السفرة التى قُدِّرَ أن تكون الأخيرة بالنسبة له ، فما الذى ساقه إلى خراسان وكان عنها بعيداً ؟ خراسان التى غالت -على حد تعبيره - هامته، خراسان التى ترك من أجلها أبناءه وماله بأعلى

الرقمتين ، لقد ذهب إليها فى الحق طائعـاً مختاراً ، فإن ليم أحد فلن يلام سواه ، هو الذى لم يلتـفت إلى عبرات نسائه وهن يتـوسلن إليه بعدم الرحيل ، ويحذرنه من الهلاك بعيداً عنهن .

لقد كان فى حميا السفر مأخوذاً بوميض كاذب ، ولعل الظباء قد خدعته وزادت من اشتعال هذا الومـيض ، حين مرت أمامه من اليسار إلى اليمين ، فتـفاءل بها كما كـانوا يتفاءلون ، لكنها فى الحقـيقة لم تكن إلا نذير شؤم وبلاء ؛ فها هو ذا يموت بمكان قفر غير مأهول دون أن يجد حتى من يبـكيه سوى سيفـه ورمحه - وكأنهمـا يشعران به - وفرسه الأشقر الطويل ، أما رفاق الرحلة فرجال عمليون ، ما إن تأكد لهم موته - وكان الموت لايزال يتراقص فوقه - حتى أخذوا يعدون له الحفرة ، ويهيئون طقوس الدفن .

*** **لله درى** : تقريع ولوم ، تزداد حدته مع تكرار كلمة «**در**»، وذكر الأبناء والأمـوال ، وطواعيـة الترك . و«**الظباء**» بصيغة الجمع للكثرة، و«**يخبرن**» بالتضعيف للمبالـغة فى الإخبار ، وآثر الخبر على الحديث لمناسبته للسياق ؛ فما يذكرنه لم يحدث بعد ، و«**إنى**» لتأكيد

الهلاك ، وكذلك «**هالك**» بصيغة اسم الفاعل ؛ لتحققهن من وقوع الهلاك عليه إن خرج ،أو إمعانهن فى منعه من الخروج بهذا اليقين ، أما سوف تهلك مثلاً فقد يتطرق الشك عندئذ فى وقوع الهلاك .

وفى بكاء السيف والرمح تجسيد ومشاركة حميمة بين الآلة - التى صارت تشعر بما حل بصاحبها - والفارس حين لم يجد من يبكيه غيرها . ولاعليك أن يكون الفرس أشقر أو خنذيذاً لكن انظر إليه كيف أحس بموت سيده - وكذا الفرس الأصيل فيما يقال - فصار - كما يتخيله الشاعر بعد موته أو حتى وهو طريح فراش الموت - يجر عنانه إلى الماء جراً ، مما يعنى أنه قد صار منكس الرأس ، وطالما ارتفعت رأسه من قبل فى خيلاء ،حين كان اللجام فى يد الفارس ، أما وقد مات فقد سقط اللجام ، وسقطت بسقوطه الرأس مثقلة بالحزن ، لقد تركه بلا راع ، لا ساقى له ، أو بالأحرى لا صديق .

وفى تقديم شبه الجملة «**له**» على الفاعل «**الدهر**» ما يشعرك بالتخصيص ؛ فهو - أى الفرس - من دون المخلوقات جميعاً ، الذى لم يترك له الدهر ساقياً ، أو هكذا صار يحس ، و«**ساقياً**» نكرة للتعميم ؛ فلا يوجد أى ساق له .

وقد تهولك - وهو ما أراد الشاعر بالفعل - كلمة قفرة ؛ فى اختياره لتلك الكلمة من ناحية ، وتنكيرها من ناحية أخرى ، وكذا «**اللحد**» الذى لاشك أزعجه وهم يسوونه تحت بصره ، وأزعجنا معه؛ ببروزه المفاجئ - والرجل لايزال حياً لم يمت بعد - وما يحمله فى ذاته من إيحاءات ، أكد بعضها ذلك القضاء الذى - كما يقول هو نفسه - قد حُمَّ .

* * * * *

الأبيات ١٣ - ٢٠ :

١٣ - وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيَّتِى
وَحَلَّ بِهَا سُقْمِى وَحَانَتْ وَفَاتِيَا

١٤ - أَقُولُ لأَصْحَابِى ارْفَعُونِى فَإِنَّنِى
يَقَرُّ بِعَيْنِى أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا

١٥ - يَا صَاحِبَىْ رَحْلِى دَنَا المَوْتُ فَانْزِلا
بِرَابِيَةٍ إِنِّى مُقِيمٌ لَيَالِيَا

١٦ - أَقِيمَا عَلَيَّ الـــيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ

وَلاَ تُعْجِلانِي قَدْ تَبَيَّنَ مَا بِيَا

١٧ - وَقُومَا إِذَا مَا اسْتُلَّ رُوحِي فَهيِّئَا

لِيَ الـــسِّدْرَ وَالأكْفَانَ ثُمَّ ابْكِيَا لِيَا

١٨ - وَلاَ تَحْسُدَانِي بَارَكَ الـــلَّهُ فِيكُمَا

مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الـــعَرْضِ أَنْ تُوْسِعَا لِيَا

١٩ - وَخُطَّا بِأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعِي

وَرُدَّا عَلَى عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدَائِيَا

٢٠ - خُذَانِي فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا

فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الـيَوْمِ صَعْبـــاً قِيَادِيَا

* (**مرو** : مدينة بخراسان / **جل** : عظم . ويروى : «خل بهـا جسمى» ؛ أى اختـل وضعف / **سهيل** : نجم لايرى - فيـما يقال - بخراسان ، وإنما يرى - كما يفهم من السياق - ببلاد الشاعر / **بدا** : ظهر / **رابية** : مكان مرتفع / **استل روحى** : انتزعت منه / **السدر** :

شجر النبق ؛ مفرده سدرة ، والمقصود هنا ورقه ؛ فقد كانوا يستخدمونه فى غسل الميت / **فضل ردائيا** : الفضل : الزيادة ، والرداء : الثوب).

** وحيث سوى الرفاق اللحد ،وتراءى له الموت ،وحانت لحظة الوفاة ،لم يبق إلا الوداع ،وإلا حشرجة الكلمات ،تخرج من فمه ممتزجة بأنات النزع الأخير ، يوصيهم فيها بأن يرفعوه - وكانوا لايزالون إذ ذاك على عتبات مرو -عله يرى سهيلاً ؛ ذلك النجم الذى طالما رعاه فى سماء باديته ، وحرم منه منذ قدر عليه الرحيل إلى خراسان ،كما حرم من أبيه وزوجه وبنيه .

وكأن نظرته تلك هى البديل الممكن عن رؤية هؤلاء ، وقد صارت رؤيتهم مستحيلاً بطبيعة الحال ، لكن البديل هو الآخر - وقد أوهمه فرط شوقه وملاحقة الموت له بإمكانية حدوثه - مستحيل كباقى المستحيلات ؛ إذ كيف يستطيع رؤيته وهو لايظهر أصلاً فى ذلك المكان ؟ فليرفعوه كما شاءوا ، وليقلب عينيه كما شاء فى السماء ،

بحثاً عن وهم آخر ، قد يكون فيه - ولن يكون لاستحالته - بعض العزاء .

ويوصيهم - فيما يوصيهم به - بالمكث قليلاً ، ريثما تُقبض روحه؛ فقد تبين ما به ، وتحققوا وتحقق معهم من وقوع الموت ، ما بين لحظة - قد تكون هى تلك اللحظة - وأختها .

لاجدوى من الإسراع إذن ؛ فلن يبلغوا به الديار - وبينهم وبينها مسافات تقدر بالشهور لا بالأيام - مهما أسرعوا أو حثوا الركاب .

وما دام الأمر كذلك فلينتظروا ههنا ، ولن يطول على أية حال الانتظار ، ربما يوم أو بعض يوم ، وليشغلوا بطقوس الدفن ؛ تهيئة السدر والأكفان والمضجع ، ويستشرف الشاعر تلك اللحظات ؛ لحظات الغسل والتكفين وجر الجثة فوق التراب وتغطية العينين بفضل الرداء ، فهى وإن لم تحدث قد باتت وشيكة الحدوث ، بل صارت فى مخيلته وكأنها - وقد بلغ به اليأس مداه - تحدث بالفعل .

ولاينسى فى خضم ذلك - وهو الفارس كما سبق أن ذكرنا -أن

يعـقد مـقارنة سـريعة ؛ بين صـورته بعـد الموت وهم يجرونه فـوق التراب، وصـورته حين كان فى حيـاته من قبل صعب القـياد ، وهى مقارنة لم يقصد إليها فى ذاتها ، وإنما ولدها السياق بشكل طبيعى .

وتلك الروح - روح الـفـارس - هى التى تملـى كـذلك أن يُخَطَّ اللحـد بأطراف الأسنة ،لا بالمعـاول أو الفـؤوس شأن العـوام ، وأن يوسعوا له فيه ،ولايحولن بينهم وبين ذلك الحسد ،فيضيقوا عليه وهو أحوج ما يكون -بجثـته الضخمة - للسعة ،ولعله كـان يخشى ضمة القبر فطلب منهم ذلك ، وضمة القبر - كما هو معلوم - لايضر معها ضيق ،ولاينفع مـعها سـعة ، لكنه الفزع وقـد أخذ بمجامع نفـسه ، فصدرت عنه لاشعورياً تلك الصرخة .

*** وفى «**تراءات**» ،وقد استخدمت ههنا للدلالة على القرب ، مـا يوحى بعمق إحـسـاس الشاعـر بالموت ، فكأنه يحـيط به ويحلق فوقه، ويبـدو كشىء بارز يراه بعينيـه . وجاء جواب «**لما**» فى البيت التالى «**أقول** . . .» . ويدل الفعل - بصيغتـه التى جاء عليها ؛ وهى

صيغة المضارع - على الحالية والاستمرار ؛ فكأنه لايزال حتى الآن يقول ، وكأنهم لايزالون حتى الآن يستمعون إليه . وهؤلاء الذين يرافقونه فى رحلة العودة **«أصحاب»** ، تجمعه بهم الصحبة فحسب ، ثم لن يلبث كلٌّ أن يمضى فى طريق .

ويجىء الأمر **«ارفعونى»** للالتماس ، و**«لى»** بعد **«بدا»** للتحديد والتخصيص ؛ فسهيل لاشك يبدو لغيره - فى أماكن أخرى على الأقل - وما يرجوه مالك أن يراه هو نفسه ويتكشف له ، وهى تشبه الرغبة الأخيرة للمحكوم عليه بالإعدام ، وقد وصلوا إلى مرحلة تنفيذ الحكم ؛ فى غرابتها ، وبساطتها المستحيلة فى آن .

وجملة **«فإننى»** تعليل . و**«يقر بعينى»** تصير العين قريرة ، كناية عن الرضا وراحة النفس . ويدل البيتان الخامس عشر والسادس عشر على التسليم الذى انتابه عقب تحققه وتحققهم معه من دنو الموت ، ثم مايستتبع هذا التسليم من اليأس من كل رغباته السابقة ، بما فيها الوصول إلى الديار ، والارتماء على عتبات بيته ، ليستلقى ولو ليلة قرير العين بين عشيرته وذويه .

وفى النداء بهذا التعبير «**ياصاحبى رحلى**» ما يحرك كوامن الشجن فى النفوس ، ذلك التحريك الذى يؤكده بدوره ذكر السدر والأكفان ، والتماسه الأخير منهم أن يخطوا له اللحد بالرماح ، ويوسعوا له فيه ، ويجروا جثته فوق التراب ، ثم يغطوا عينيه- ويبكوا - من بعد عليه .

وفى «**دنا الموت** » إقرار حزين ، و«**إنى مقيم**» تأكيد ، و«**ليالى**» إشارة إلى الحياة البرزخية التى قد تستغرق آجالاً لايعلمها إلا الله ، وعلى الرغم من هذا فقد عبر عنها بتلك الكلمة ، كما سوف يقال يوم القيامة : ﴿لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ حين يُسألون : كم لبثتم ؟ ولعله قد تأثر ههنا بالتعبير القرآنى الذى أخذت ملامحه تظهر فى البيت التالى مباشرة ؛ « **اليوم أو بعض ليلة**» ، وإن جاء فى سياق آخر يتعلق هذه المرة بإقامتهم - التى يرجوها - معه .

وجملة «**قد تبين**» تعليل للأمر «**أقيما**» وللنهى المؤكد له «**لاتعجلانى**» ، واستلال الروح - للتعبير عن الموت - اختيار فارس لايزال السيف ماثلاً أمام عينيه وممتزجاً بوجدانه ، حتى ليمتاح من حركته وهو يستل من الغمد ما يعبر به عن خروج الروح من الجسد ،

مع ما فى هذه الكلمة من إيحاء بالسرعة . وقد بنى الفعل للمجهول؛ ربما رهبة من ذكر ملك الموت ، أو لأنه معلوم فلايحتاج أن يشار إليه، وليقع الاهتمام على الروح مباشرة ؛ تلك التى سوف تُسْتَلُّ . و«**بارك الله فيكما**» اعتراض يرقق به قلبى صاحبيه ، عسى أن يستجيبا للرجاء، وهو تعبير لايجرى إلا على لسان اعتاد ذكر الله ، فلايزال -حتى وهو يموت - رطباً به .

وفى وصف الأرض بأنها «**ذات العرض**» ما يغرى بتنفيذ الرجاء ؛ فالأرض ليست ضيقة ، وماذا عليهم لو وسعوا له ؟ مع ما بين كلمتى «**الأرض**» و«**العرض**» من سجع وجناس ، جاءا كما ترى غير مستكرهين . ويحمل البيت الأخير تقابلاً ينضح بما يعتريه من الإحساس بالمرارة والأسى ، لما كان عليه ثم ما ألم به ؛ لقد كان قبل اليوم صعب القياد ، فصار جيفة تُسْحَلُ وتُجَرُّ .

* * * * *

الأبيات ٢١ – ٢٥ :

٢١ - يَقُولُوْنَ لاَ تَبْعُدْ وَهُمْ يدْفِنُونَنِى

وأَيْنَ مكَانُ الـــــــــبُعْدِ إِلاَّ مكَانِيَا

٢٢ - غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِى عَلَى غَدِ

إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّى وَخُلِّفْتُ ثَاوِيَا

٢٣ - فَيَا رَاكِبـــــــاً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ

بَنِى مَالِكٍ والـــــــــرَّيْبِ أَلاَّ تلاَقِيَا

٢٤ - وَأَبْلِغْ أَخِى عِمْرَانَ بُرْدِى وَمِئْزَرِى

وَبَلِّغْ عَجُوزِى الـــــــــيَوْمَ أَلاَّ تدَانيَا

٢٥ - وَعَطِّلْ قَلُوْصِى فِى الـــرِّكَابِ فَإِنَّهَا

سَتُبْرِدُ أَكْبَاداً وَتُبْكِى الـــــــــبَوَاكِيَا .

* (**لاتبعد** : تعبير يرد كثيـراً فى الرثاء ،وهو دعاء بعدم البعد أو النجاة من الهلاك / **أدلجوا عنى** : ساروا وابتعدوا/ **ثاوياً** : مقيماً / **عطل قلوصى** : يريد ألا تُركب أو تُستخدم ؛ يعنى ناقته) .

* * يجىء المقطع الأخير معبراً عن مـخاوفه إزاء المجهول ؛ فهم يدفنونه ، وسوف ينفضون بعد قليل أيديهم من تراب القبر ، ويتركونه ليواجـه وحده ما قدر له من مـصير ، لايعلم عنه - ولانعلم - غـير القليل؛ الضمة وما يعقبها من سؤال ، ثم إما أن يكون القبر حفرة من حفـر النار - وهو ما لا يأمن علـى نفسه منه - أو روضـة من رياض الجنة .

الخوف والـفزع يخـيمـان عليه ، ومن عـجب أنهم يرددون وهم يدفنونه تلك العـبارة التقليـدية «لاتبعد» ، وأيـن مكان البعد - كـما يقول- إن لم يكن هذا المكان ؟ لعلهم يعزون أنـفسهم ، وهو الأحرى - من دونهم جميعاً - بالعزاء . سوف يمضون ويتركونه ثاوياً لا أنيس معـه - إن لم يكن له من عمله الصالح مـا يؤنسه - غير الأشـباح ،

وغير الرهبة والفزع ، وغير الديدان تأكل عينيه وجسده ، وغير البلى، وغير التراب وصوت الرياح .

لكنه لاينسى أن يُحَمِّلَهُمْ -أو بالأحرى يحمل بعضهم أو أى شخص مجهول آخر -وصاياه ، وهى هذه المرة غير خاصة به ، وإنما خاصة بأهله ؛ فليبلغوا هؤلاء الأهل -من بنى مالك والريب - ألا تلاقى بعد اليوم ، ولعلهم كانوا ينتظرون أوبته ، إن لم يكن اليوم فغداً ، وليحملوا لأخيه عمران برده ومئزره ، ويؤكدوا على أمه - من دون جميع الأهل - ما سبق أن أبلغوه ؛ لن يعود ابنك ، ابنك قد مات . فقلب الأم لا يُسَلِّمُ بتلك الحقيقة من أول مرة ، إنها بحاجة - لينقطع أملها فى اللقاء به مرة أخرى - إلى أن تبلغ بهذا الخبر المشؤوم بلاغاً خاصاً بعد إبلاغ عامة الأهل . ولتعطل ناقته ؛ ليبكى كل من رآها ، وهى تجول فى الديار بدون صاحبها الذى لم يعد ، وغالت هامته الغربة ، فلقى حتفه خلف أسوار مرو وخراسان .

*** «يقولون» وكأن قولهم لايزال يتردد . «**وهم يدفنوننى**» حال جملة صاحبت حدوث القول . وجملة «**لاتبعد**» فيما يبدو مجرد

عبارة تلوكها الألسن فى مثل تلك اللحظات ، دون أن تعبر عن حقيقة شعورهم نحوه ، وهم مجرد رفاق طريق ، فى رحلة عودة . والاستفهام للنفى ، وقد أعقبه «**إلا**» ليدل على القصر ؛ فقد قصر البعد على المكان الذى دفن فيه دون بقاع الأرض .

وجاءت جملة «**يالهف نفسى على غد**» لتجسد فزعه ورهبته ، والمخاوف التى يحملها فى داخله ، مما هو مقبل عليه «**غداة غد**» . ومعنى إدلاجهم أنهم سوف يغادرونه ليلاً ، أَمَسّ ما يكون المرء حاجة إلى من يؤنسه ويسرى عنه . ودلت «**ثاويا**» على الإقامة الدائمة ، و«**النون**» فى «**بلغن**» لتأكيد الأمر الذى تحول بدوره إلى رجاء . و«**عجوزى**» فيها ما فيها من الإيحاء بالضعف - فهى عجوز - والحدب والحب - حيث أضافها إلى نفسه وخصها وحدها ههنا بأن تُبَلَّغَ عنه - وبيان فداحة المصاب ؛ فما أحوج مثل هذه العجوز إليه .

وبرد الأكباد ربما تعلق - فيما أتصوره - بالبكاء ؛ فالحزن المكتوم إذا تفجر خفف ذلك عن القلب - والعرب تعبر عن القلب أحياناً بالكبد - لذلك يطلب تعطيل القلوص لينظر إليها هؤلاء الذين اشتد وجدهم عليه ، وكلما نظروا إليها تفجروا بالبكاء ، وتفجر بهذا البكاء

ما بداخلهم من حزن . أو يكون قد أراد ببرد الأكباد - وهو الظاهر - أهل الشماتة والحقد ؛ فمثل هؤلاء يسرهم موته ، وتثلج أكبادهم رؤية قلوصه وهى على تلك الحال . وأتى بـ «**راكب**» نكرة ، وهى هنا نكرة غير مقصودة ؛ ليحمل عنه وصيته إلى أهله أى شخص ممن يعنيه أمره أو يهتم له .

* * * * *

ولعلك لاحظت اهتمام مالك فى هذه القصيدة بالأماكن ،وقد حشد لنا منها عدداً كبيراً ؛ مرو ، خراسان ، الغضا ، الرقمتين ، ذا الطبسين وغيرها . والتركيز على المكان جزء هام فى القصيدة / الرحلة. ولم تكن رحلة مالك رحلة فى المكان فحسب ، وإنما كان يتنقل عبر الزمان بوحداته الثلاث ؛ الماضى والحاضر والمستقبل ، مستخدماً من الوسائل الفنية - كالتذكر أو الـ(**Flach back**) والحدس أو الاستشراف - ما يعينه على ذلك .

ويحمل كل مكان من الأماكن المذكورة فى القصيدة شحنة عاطفية

خاصة ؛ فبعضها مرتبط بالأمل والخلاص ؛ كالغضا ، وبعضها مرتبط بالواقع المحبط ؛ كمرو ، وخراسان .

ولعلك لاحظت أيضاً أن القصيدة لم تكن مجرد سرد ، وإنما امتزج فيها السرد بحديث النفس - المونولوج أو المناجاة - والحوار . وبرز الحدث - باعتباره عنصراً فاعلاً - بروزاً واضحاً فى بناء القصيدة. وحملت اللغة طاقات هائلة من الإيحاء ، فعبرت عما يمور فى وجدانه من العواطف والانفعالات ، ورمزت وكثفت وأشارت ؛ إشارات خفيفة ،ورموز غير بعيدة ،وتكثيف ينأى كثيراً عن التعقيد .

وحلق الخيال في الأجواء التى شكلها بالكلمة والصورة ، عبر المقاطع والأبيات ، تشكيلاً بسيطاً ، يعتمد أكثر ما يعتمد ألوان البيان؛ من تشبيه واستعارة ونحوها ، واصطبغت الكلمات بعاطفة الحزن السائدة ، فكثرت المشتقات الخاصة بالموت والبكاء ، وترددت بعض التعبيرات المتعلقة بالرثاء ؛ كـ «لاتبعد» ، و«يالهف نفسى» ، وشاع من بين الألوان اللون الأسود - فى «**أبيتن**» و«**ليلة**» و«**عشية**» و«**لياليا**» و«**أدلجوا**» - ومن بين الأصوات صوت الأنين والزفرات ، ومن الحركة

ما يتصل بطقوس الدفن ؛ كتسوية اللحد ، وخط أطرافه بالأسنة ، وتوسعة جنباته ، وجر الجثة ، وتغطية العينين بفضل الرداء .

وأخيراً فقد اختارت القصيدة لنفسها «بحراً مواتياً للنواح ؛ هو الطويل بتفعيلاته الثمانى الممتدة ، التى تهيىء للصور أن تتمدد وأن تئن بالمشاعر والمعانى ، هذا فضلاً عن روى مثالى للبكاء ؛ تمثل فى الياء المشبعة الممتدة . والياء المشبعة الممتدة بالألف تفيد النداء ، وتستخدم للاستغاثة ، ويعول عليها كثيراً فى التوجع والعويل ، إنها مثل (الآه) تنفيس تلقائى عن الشدائد وتعبير غريزى عنها» [1] . ولقد تكررت بعض الكلمات ككلمة (در) التى توالت فى المقطع الأول «ست مرات متتابعات ، بما يشبه النشيج الملتاع ، فى تضاعيف لحن جنائزى جريح ، ينتظم القصيدة كلها » [2] .

* * * * *

---

(١) فن الرثاء وياثية مالك بن الريب ص ٢٩ .

(٢) المرجع نفسه والصحيفة .

هـ - مختارات من شعره :

١ - يقول مالك بن الريب فى الحجاج وآل مروان :

إن تنصفونا يال مروان نقترب
إليكم وإلا فأذنوا ببعاد

فإن لنا عنكم مزاحاً ومزحلاً
بعيس إلى ريح الفلاة صوادى

ففى الأرض عن دار المذلة مذهب
وكل بلاد أوطنت كبلادى

فماذا ترى الحجاج يبلغ جهده
إذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف
كما كان عبداً من عبيد إياد

زمان هو العبد المقر بذله
يراوح صبيان القرى ويغادى .

*****

٢ - ويقول فى يائيته الشهيرة :

أقلب طـرفى فـــوق رحلى فــلا أرى

به من عـيـــون المؤنسـات مـراعـــيـا

وبالـرمل مـنى نســـــوة لـو رأيـنـنى

بكـين وفـــدين الطـبـــيب المـداويا

فـــمـنهن أمى وابنـتـــاها وخـــالتى

وباكـيـــة أخـرى تهـــيج البـواكـــيـا

ومـا كـــان عـهـد الرمل مـنى وأهله

ذمـيـمـاً ولا ودعت بالرمل قـاليـا .

* * * * *

٣ - ويقول فى القصيدة نفسها :

وقـوما على بئـر الشـبيك فـأسـمعـا

بها الوحش والبـيض الحسـان الروانيا

بأنكـمـا خلفـتـمـانى بقـفـرة

تهـيل على الريح فـيـهـا السـوافـيـا

ولا تنسـيـا عـهـدى خليلـى إننى

تقطـع أوصـالى وتبـلى عظامـيـا

فلن يعـدم الولدان بـيـتـاً يجـتنى

ولن يعـندم الميـراث منى المواليـا .

* * * * *

مصادر ومراجع (*)

أولاً : المصادر :

١ - **الأصمعيات** لأبى سعيد عبد الملك بن قريب - ت . أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون - ط٤ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٦م .

٢ - **الأغانى** لأبى الفرج الأصفهانى - ت . إبراهيم الإبيارى - دار الشعب - القاهرة سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م . وطبعة الدار القديمة .

٣ - **الأمالى** لأبى عبد الله محمد بن العباس اليزيدى - ط١ - جمعية دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن سنة ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م .

٤ - **الأمالى** لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٥م .

٥ - **أمالى المرزوقى** لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى - ت . د . يحيى وهيب الجبورى - دار الغرب الإسلامى - بيروت سنة ١٩٩٥م .

٦ - **البيان والتبيين** لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ت . د . عبد السلام هارون - ط٣ - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م .

٧ - **تاريخ الرسل والملوك** لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٤ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩م .

٨ - **التعليقات والنوادر** لأبى على هارون بن زكريا الهجرى - ت . د . حمود عبد الأمير الحمادى -ط٢- دار الشئون الثقافية العامة - بغداد سنة ١٩٨٧م .

٩ - **جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام** لأبى يزيد محمد بن أبى الخطاب القرشى - ت . على محمد البجاوى - دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٩٨١م .

١٠ - **الحماسة** للبحترى - ضبطه وعلق حواشيه كمال مصطفى - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة سنة ١٩٢٩م .

١١ - **الحماسة البصرية** لصدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى - ت . مختار الدين أحمد - ط٣ - عالم الكتب - بيروت سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

١٢ - **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** لعبد القادر بن عمر البغدادى - ت . د . عبد السلام محمد هارون - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

١٣ - **ديوان جرير** - ت . د . نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة - المجلد الأول سنة ١٩٦٩م، المجلد الثانى سنة ١٩٧١م .

١٤ - **ديوان جميل شاعر الحب العذرى** - جمعه وحققه د . حسين نصار - مكتبة مصر - القاهرة سنة ١٩٧٩م .

١٥ - **ديوان ذى الرمة (شرح الإمام أبى نصر الباهلى)** - ت . د . واضح الصمد - ط١ - دار الجيل - بيروت سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

١٦ - **ديوان شعر الخوارج** - جمعه وحققه د . إحسان عباس - ط٤ - دار الشروق - بيروت سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

(*) أشرت إلى بعضها فى هامش الصفحات ، وأضفت مصادر ومراجع أخرى يمكن الإفادة منها .

١٧ - **ديوان شعر عدى بن الرقاع العاملى** - ت . د . نورى حمودى القيسى ، د . حاتم صالح الضامن - المجمع العلمى العراقى - بغداد سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

١٨ - **ديوان الصمة بن عبد الله القشيرى** - جمعه وحققه د . عبد العزيز محمد الفيصل - النادى الأدبى - الرياض سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

١٩ - **ديوان الطرماح** - ت . د . عزة حسن -ط٢ - دار الشرق العربى - بيروت سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

٢٠ - **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات** - ت . د . محمد يوسف نجم - دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر - بيروت سنة ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م .

٢١ - **ديوان العرجى (رواية أبى الفتح عثمان بن جنى)**- ت . خضر الطائى ورشيد العبيدى - ط١ - الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة - بغداد سنة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م .

٢٢ - **ديوان عمر بن أبى ربيعة شاعر الحب والجمال** - شرحه وحققه وعلق عليه د . محمد عبد المنعم خفاجى ، د . عبد العزيز شرف - المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة سنة ١٩٩٥م .

٢٣ - **ديوان الفرزدق** - شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ على فاعور - ط١ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٢٤ - **ديوان كثير عزة** - جمعه وشرحه د . إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت سنة ١٣٩١هـ ١٩٧١م .

٢٥ - **ديوان مالك بن الريب** - ت . د . نورى حمودى القيسى - مجلة معهد المخطوطات بالجامعة العربية - م ١٥ جـ١ - القاهرة سنة ١٩٦٩م .

٢٦ - **ديوان مسكين الدارمى** - جمعه وحققه عبد الله الجبورى وخليل إبراهيم العطية - ط ١ - دار البصرى - بغداد سنة ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م .

٢٧ - **ديوان النابغة الجعدى** - جمعه وحققه وشرحه د . واضح الصمد - ط١ - دار صادر - بيروت سنة ١٩٩٨م .

٢٨ - **ديوان الهذليين** - ط٢ - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٥ م .

٢٩ - **ديوان الوليد بن يزيد** - ت . د . حسين عطوان - ط١ - دار الجيل - بيروت سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٣٠ - **الزهرة** لأبى بكر محمد بن داود الأصبهانى - ت . د . إبراهيم السامرائى - ط٢ - مكتبة المنار - الأردن سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .

٣١ - **سمط اللآلى** لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى - ت . د . عبد العزيز الميمنى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٥٤هـ ١٩٣٦م .

٣٢ - **شرح ديوان الحماسة** لأبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م .

٣٣ - **شرح ديوان الحماسة** للمرزوقى - نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٥٣م .

٣٤ - **شرح نقائض جرير والفرزدق** لأبى عبيدة معمر بن المثنى - نشر بيفان - ليدن سنة ١٩١٢م .

٣٥ - **شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدى بتفسير أبى رياش أحمد بن إبراهيم القيسى** - ت . د.داود سلوم ، د . نورى حمودى القيسى - ط١ - مكتبة النهضة العربية - بيروت سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٣٦ - شعر ابن مفرغ الحميرى - جمعه وحققه د . داود سلوم - مكتبة الأندلس - بغداد سنة ١٩٦٨م .

٣٧ - شعراء أمويون - جمعه وحققه د . نورى حمودى القيسى - ط٢ - مكتبة النهضة العربية - بيروت سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م .

٣٨ - شعر الأخطل أبى مالك غياث بن غوث التغلبى (صنعة السكرى) - ت . د . فخر الدين قباوة - ط٤ - دار الفكر - دمشق سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

٣٩ - شعر الأحوص الأنصارى - جمعه وحققه عادل سليمان جمال - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة سنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠ م .

٤٠ - شعر إسماعيل بن يسار - جمعه د . يوسف حسين بكار - ط١ - دار الأندلس - بيروت سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٤١ - شعر الحارث بن خالد المخزومى - ت . د . يحيى الجبورى -ط١- مكتبة الأندلس - بغداد سنة ١٣٩١هـ ١٩٧٢م .

٤٢ - شعر الراعى النميرى - ت . د . نورى حمودى القيسى وهلال ناجى - المجمع العلمى العراقى - بغداد سنة ١٩٨٠م .

٤٣ - شعر سابق بن عبد الله البربرى (دراسة وجمع وتحقيق) - د . بدر أحمد ضيف - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية سنة ١٩٨٧م .

٤٤ - شعر عبد الله بن الزبير الأسدى - جمعه وحققه د . يحيى الجبورى - دار الحرية - بغداد سنة ١٩٧٤م .

٤٥ - شعر عمر بن لجأ التيمى - ت . د . يحيى الجبورى - ط٣ - دار القلم - الكويت سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٤٦ - شعر المتوكل الليثى - ت . د . يحيى الجبورى - مكتبة الأندلس - بغداد سنة ١٩٧١م.

٤٧ - شعر محمد بن بشير الخارجي - جمعه وحققه وشرحه محمد خير البقاعى - ط١ - دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٤٨ - شعر نصيب بن رباح - جمعه د . داود سلوم - مطبعة الإرشاد - بغداد سنة ١٩٦٧م .

٤٩ - شعر النعمان بن بشير الأنصارى - ت . د . يحيى الجبورى - ط٢ - دار القلم للنشر والتوزيع - الكويت سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .

٥٠ - الشعر والشعراء لابن قتيبة - ت . أحمد محمد شاكر - ط٣ - دار التراث العربى - القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

٥١ - شعر يزيد بن الطثرية - صنعة حاتم صالح الضامن - مطبعة أسعد - بغداد سنة ١٩٧٣م .

٥٢ - طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى - ت . محمود محمد شاكر - مطبعة المدنى - القاهرة سنة ١٩٧٤م .

٥٣ - الطرائف الأدبية - صححه وخرجه وعارضه على النسخ المختلفة وذيله عبد العزيز الميمنى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٣٧م .

٥٤ - العقد الفريد لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه - شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبيارى - ط٢ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م .

٥٥ - **العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده** لابن رشيق القيروانى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد - ط٥ - دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة - بيروت سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

٥٦ - **عيون الأخبار** لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى -ط٢- دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٦م .

٥٧ - **الفهرست** لأبى الفرج محمد بن إسحق المعروف بابن النديم - نشر فلوجل ليبزج سنة ١٨٧٢م .

٥٨ - **الكامل** لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - بدون تاريخ .

٥٩ - **لسان العرب** لأبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى - ت . عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩م .

٦٠ - **المحبر** لأبى جعفر محمد بن حبيب - ت . د . إيلزة ليختن شتيتر - جمعية دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦١هـ ١٩٤٢م .

٦١ - **مختارات شعراء العرب** لابن الشجرى - ت . على محمد البجاوى - دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة سنة ١٩٧٥م .

٦٢ - **مصارع العشاق** لأبى محمد جعفر بن أحمد السراج - دار صادر - بيروت سنة ١٩٥٨م .

٦٣ - **معجم الأدباء** لياقوت الحموى - ط٣ - دار الفكر - بيروت سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٦٤ - **معجم البلدان** لياقوت الحموى - دار صادر ودار بيروت - بيروت سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م .

٦٥ - **معجم الشعراء** لأبى عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى - ت . عبد الستار أحمد فراج - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م .

٦٦ - **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى - ت . مصطفى السقا - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٧١هـ ١٩٥١م .

٦٧ - **المفضليات** للمفضل بن محمد بن يعلى الضبى - ت . أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون -ط٨- دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩٣م .

٦٨ - **نقائض جرير والأخطل** لأبى تمام - عنى بتصحيحها وعلق حواشيها أنطون صالحانى اليسوعى - دار المشرق - بيروت سنة ١٩٨٦م .

٦٩ - **نهاية الأرب فى فنون الأدب** لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م .

٧٠ - **الوحشيات (وهو الحماسة الصغرى)** لأبى تمام - ت . عبد العزيز الميمنى وزاد فى حواشيه محمود محمد شاكر - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٣م .

* * * *

ثانياً: المراجع:

١ - **اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى** - د . محمد مصطفى هدارة - المكتب الإسلامى - بيروت سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

٢ - **الأخطل شاعر بنى أمية** - د . سيد غازى - ط٤- دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩م .

٣ - **الأدب الأموى صور رائعة من البيان العربى** - د. إبراهيم على أبو الخشب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٧م .

٤ - **أدب الخوارج فى العصر الأموى** - د . سهير القلماوى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٤٥م .

٥ - **أدب السياسة فى العصر الأموى** - د . أحمد محمد الحوفى - ط٤- دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة سنة ١٩٧٥م .

٦ - **أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى** - د . عبد الحسيب طه حميدة - الزهراء للإعلام العربى - القاهرة سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

٧ - **الأدب العربى فى ظل بنى أمية** - د . جودة عبد الله مصطفى - دار الحمامى - القاهرة سنة ١٩٧٥م .

٨ - **الأعلام** - خير الدين الزركلى - ط٥- دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٨٠م .

٩ - **بناء لغة الشعر** - جون كوين - ت . د . أحمد درويش - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٠م .

١٠ - **تاريخ آداب اللغة العربية** - جرجى زيدان - طبعة جديدة راجعها وعلق عليها الدكتور شوقى ضيف - دار الهلال - القاهرة - بدون تاريخ .

١١ - **تاريخ الأدب العربى** - ريجيس بلاشير - ت . إبراهيم الكيلانى - دار الفكر - دمشق سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

١٢ - **تاريخ الأدب العربى** - كارل بروكلمان - ت . عبد الحليم النجار -ط٥- دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٣م .

١٣ - **تاريخ التراث العربى** - فؤاد سزكين - ت . د . محمود فهمى حجازى - إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

١٤ - **تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى** - د . أحمد الشايب -ط٥- دار القلم - بيروت سنة ١٩٧٦م .

١٥ - **تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى** - د . نجيب محمد البهبيتى - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٠م .

١٦ - **تاريخ النقائض فى الشعر العربى** - د . أحمد الشايب - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م .

١٧ - **التطور والتجديد فى الشعر الأموى** -د . شوقى ضيف - ط٨- دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٧م.

١٨ - **جرير حياته وشعره** - د . نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٨م .

١٩ - **جرير مدينة الشعر** - د . حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله - ط١- دار الجيل - بيروت سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م .

٢٠ - **حديث الأربعاء** - د . طه حسين - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥٧م .

٢١ - **الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى** - د . أحمد كمال زكى - ط١ - دار الفكر- دمشق سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م .

٢٢ - **حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة** - د . يوسف خليف - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م .

٢٣ - **دراسة الأدب العربى** - د . مصطفى ناصف - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - بدون تاريخ .

٢٤ - **رثاء النفس بين عبد يغوث بن وقاص الحارثى ومالك بن الريب التميمى** - د . إبراهيم الحاوى - مؤسسة الرسالة - بيروت - بدون تاريخ .

٢٥ - **الشعر الأموى** - د . محمد فتوح أحمد - ط١ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩١م .

٢٦ - **شعراء وتجارب فى العصر الأموى** - د . جودة أمين - دار الثقافة العربية - القاهرة سنة ١٩٨٩م .

٢٧ - **شعر البصرة فى العصر الأموى** - د . عون الشريف قاسم - ط٢ - دار الجيل بيروت ، ودار المأمون المحدودة بالخرطوم سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م .

٢٨ - **شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى العصر الأموى** - د . محمد أبو المجد على - ط١ - دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

٢٩ - **شعر الصعاليك منهجه وخصائصه** - د . عبد الحليم حفنى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨٧م .

٣٠ - **شعر عبيد الله بن قيس الرقيات** - د . إبراهيم عبد الرحمن (جـ١ - الدارسة) -ط١- مكتبة الشباب - القاهرة سنة ١٩٧٧م .

٣١ - **الشعر والشعراء فى بلاط عبد العزيز بن مروان** - د . محمد أبو المجد على - مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٣٢ - **الصورة الأدبية** - د . مصطفى ناصف - مكتبة مصر - القاهرة سنة ١٩٥٨م .

٣٣ - **العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى** - د . إحسان النص - ط٢ - دار الفكر - بيروت سنة ١٩٧٣م .

٣٤ - **العصر الإسلامى** - د . شوقى ضيف - ط٤ - دار المعارف - القاهرة - بدون تاريخ .

٣٥ - **عضوية الموسيقى فى النص الشعرى** - د . عبد الفتاح صالح نافع -ط٢ - مكتبة المنار - الأردن سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٣٦ - **الفرق الإسلامية فى الشعر الأموى** - د . النعمان القاضى - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٠م .

٣٧ - **فن الرثاء ويائية مالك بن الريب فى رثاء نفسه** - د . صالح اليظى - مقال منشور بمجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - م٣٥ - سنة ١٩٨٧م .

٣٨ - **الفن ومذاهبه فى الشعر العربى** - د . شوقى ضيف - ط١٠- دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٨م .

٣٩ - **الكميت بن زيد شاعر العصر المروانى وقصائده الهاشميات** - عبد المتعال الصعيدى - دار الفكر العربى - القاهرة - بدون تاريخ .

٤٠ - **المكتمات من صور الشعر السياسى فى العصر الأموى** - د . كاظم الظواهرى - ط١ - دار الصحوة للنشر - القاهرة سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

*****



المحتوى

البيـــــــــــان	الصفحة
مقدمة	٧
الفرزدق	٩ : ٤٠
أ - ملامح من حياته وفنه	٩
ب - مصادر ترجمته وشعره	١٩
جـ - النص	٢١
د - تحليل	٢٣
هـ - مختارات من شعره	٣٨
جرير	٤١ : ٧٦
أ - ملامح من حياته وفنه	٤١
ب - مصادر ترجمته وشعره	٤٩
جـ - النص	٥١
د - تحليل	٥٣
هـ - مختارات من شعره	٧٤
مالك بن الريب	٧٧ : ١٢٠
أ - ملامح من حياته وفنه	٧٧
ب - مصادر ترجمته وشعره	٨٦
جـ - النص	٨٧
د - تحليل	٩١
هـ - مختارات من شعره	١١٨
مصادر ومراجع	١٢١

للمؤلف

١ - شعر العبيد فى الجاهلية وصدر الإسلام - ط١ - مكتبة رياض الصالحين - القاهرة سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

٢ - شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى صدر الإسلام - ط١ - دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

٣ - شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى العصر الأموى - ط١- دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

٤ - أبواب التحرير - مكتبة رياض الصالحين - القاهرة سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

٥ - فى الأدب القصصى : بحوث ودراسات - ط١ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

٦ - تفسير أمثال القرآن الكريم لابن كثير (جمع وتحقيق) - دار الفتح للنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

٧ - تجربة الشعر الحر عند ملك عبد العزيز فى ديوانها «أغنيات لليل» - مكتبة أم القرى - القاهرة سنة ١٩٩٦م .

٨ - المتنبى : قسمات وملامح - دار المروة للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

٩ - مراثى النبى ﷺ (جمع - تحقيق - دراسة) - ط١ - مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٩٩٦م .

١٠ - الإسلام والشعر - دار المروة للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

١١ - الشعر والتحول العقدى فى صدر الإسلام - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

١٢ - الشعر والشعراء فى بلاط عبد العزيز بن مروان - مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

١٣ - ببليوجرافيا الرسائل العلمية فى الجامعات السعودية منذ إنشائها حتى أواخر القرن العشرين (الأدب العربى والبلاغة والنقد الأدبى) - دار المروة للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٩٩٩م .

قيد الطبع :

- ببليوجرافيا الرسائل العلمية فى الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين (الأدب العربى والبلاغة والنقد الأدبى) .
- شرح البيقونية (تحقيق) - بالإشتراك مع آخرين .